

السيرة النبوية

لسماحة الشیخ أبي الحسن علی الحسنی الدوی

أحدث کتاب فی السیرة النبویة ، و أروع ما صدر أخیراً - لا آخرأ - من  
قلم المؤلف فی أسلوب سهل ، عذب ، رصين ، أسلوب العارف بمحاصد السیرة  
الأصلیة ، البصیر بطريقه عرض السیرة النقیة الطاهرة - من خلال أحداثها  
و وقائتها - عرضاً سلیماً كریماً تستجیب لها الفطرة البشریة ، و يستسیغها الطبع  
السلیم ، و يؤمن بها كل من يريد وجه الحق و الصواب .

وقد عنی المؤلف فی الكتاب بالجانب التاریخی والعلمی والجغرافی ، وبالاوضاع  
الدینیة و الاجتیاعیة و الاقتصادیة فی العالم الذی عاصر العیشة عناية کاملة کا صور  
الاوضاع فی جزیرة العرب و فی مکة والمدینة علی وجه الخصوص تصویراً دقیقاً جامعاً  
حتی برزت الصور ، حیة شاخصة متکاملة الأطراف ومتآلفة الأجزاء و الجوانب .

و الكتاب إلی جانب عرضه لواقع السیرة و سائر أحداثها کحلقۃ متراپطة  
تأخذ بعضها بمحجز بعض ، کأ حلی قصة رویت علی مسامع البشریة فی عمرها الطویل  
يجمع ما تفرق فی أهم مصادر السیرة الأولى من فوائد و نکات هامة ، خفاء کافة  
زهر تجمع بین مختلف الزهور و الورود .

إن کتاب « السیرة النبویة » هدية العلم الصحيح ، و الفطرة السلیمة و الدعوة  
الحكیمة إلی الشاب العصری الحائز ، وإلی الباحثین عن الحق و الحقيقة ، المنعطشین  
إلی نور الهدایة و التوفیق فی القرن العشرین .

الناشر : دار الشروق جده ( الملکة العریة السعودية )

يطلب الكتاب : من المکتبات الشهیرة فی العالم الاسلامی



# البعث الإسلامي

شمارت المحمد



إلى الإسلام من جده

مجلة الطلاق المؤمنة و رقاد البعث الإسلامي

تصدر في دارالعلوم ندوة العلمااء-لكھنؤ-الهند

# البعث للهذا

رئاسة التحرير

محمد الحسيني سعيد الأعظمي

العدد الخامس

المجلد الثاني والعشرون

★ صفر ١٣٩٨ ★ دسمبر ويناير ١٩٧٧ - ٧٨ م

## دعوتا

[ نحن ندعو إلى الاسلام الكامل الذي يعطي كل ذي حق حقه ،  
وينير العقول ، ويشعل بمحارم القلوب ، ويهذب الاخلاق ، وينظم  
الحياة ، ويضبط الأمم ، ويقود المدنية ، ويشعل المواهب ،  
وينشئ الرجال ، ويربي القادة والعاقة ، لا هو جاف قشيب ، ولا هو  
رقق مائع ، ولا هو رهابنة وهاجر للدنيا ، ولا هو مادية ونثامة للحياة ،  
إنما هو الدين الذي جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - ونطق به القرآن ،  
وتمثل في حياة الصحابة ، وفروع المشهود لها بالخير ، وتابعين لهم  
باحسان ، من الجامعين بين العقل والقلب ، والعقيدة والعمل ، والجهاد والربانية ]

أبو الحسن على الحسني الندوى

## في هذا العدد

مود الحسني

### التوجيه الإسلامي ★

لماذا من أصحاب النبي ؟

فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسرى

فضيلة الأستاذ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوى ومحبها : العالم الجديد في حب البعثة الخديوية ومحبها

### الدعوة الإسلامية ★

دور الإمامان في حياة المسلم

سعيد الأعظمي الندوى

الشيخ عبد العزيز المسند

الأستاذ عبد الرحيم صالح عبد الله

### دراسات و أبحاث ★

خسر : و مكانه في اللغة العربية

الأستاذ أبو محفوظ الكريم معصوصى

فضيلة الشيخ زيد بن عبد العزيز بن فياض

### الفقه الإسلامي ★

ذكر الملائكة في القرآن

الأستاذ محمد طاسين ( باكستان )

### ربابون ★

حاجة الشيخ خليل أحد السهارنفورى

الأستاذ محمد الثناف الحسني الندوى

### العالم الإسلامي ★

صور وأوضاع : ، مش معقول ، مش معكن ،

نواق .. لا نواق .. إذا ما هو الطريق ؟

بين لا ، و نعم ،

بيان من : المركز الإسلامي في آخن ( مسجد الال ) واتحاد الطلبة المسلمين في أوروبا

## إلى الشباب الجامعي في مصر !

الشباب طليعة الإسلام ، و عماد هذه الأمة ، و سند العالم الإسلامي في كل  
محنة ، و فرقة الإسعاف عندما تخور القوى و تنهار الأعصاب ، و يحتاج الإسلام  
والمسدون إلى دم جديد ، و روح وثابة فتية ، روح المغامرة والاقدام . وروح  
الصمود والبناء ، وروح الابتكار و الإبداع .

و لعلنا أحق بهذا الثناء و الاعتراف ، و الاعتزاز و الاهتزاز ، و الاعجاب  
بمواهب الشباب ، وبطولات الشباب ، وفضل الشباب أكثر من أي شعب آخر و بلد  
آخر على وجه الأرض ، فقد فتح هذه البلاد شاب يافع مؤمن لم يتجاوز عمره ١٧  
سنة ، إنه فتح الهند في عمر الزهور ، و عمر الأحلام ، و عمر يستهل فيه الطالب  
حياته الجامعية ، و لا يمارس فيه إلا بعض الألعاب الرياضية و يحضر الدورات  
التدريبية و السباحية .

هذا الشاب هو محمد بن القاسم التقى الذي فتح السند في القرن الأول الهجري  
في عهد وليد بن عبد الملك .

و عندما نعود إلى مصر - و هي معقل كبير من معاقل الإسلام - نرى  
أسماءاً وضيئلة تتلاطم في سمائها ، و لئن نسيت مصر فإن تنسى هذه التخبة المتازة  
من الشباب الذي قاد المقاومة السرية الرائعة في الإسماعيلية ، و ضرب أروع الأمثلة  
في البطولة و الفداء ، و المهارة الفنية و الذكاء ، و الاخلاص لدين الله في حرب  
فلسطين ، و رفع على أكتافه أكبر حركة إسلامية في القرن العشرين ، ثم تحمل أقسى



صور الاضطهاد و أقمع أنواع التعذيب الجسدي و النفسي في هذا القرن ، صابرأ صاماً لا يتزعزع و لا يلين .

هذه النخبة الممتازة هو الشباب الجامعي في مصر .

هذا الثبات و التضحية ، و السمع و الطاعة ، و الحب و الولاء ، والصدق و الوفاء ، و الاخلاص والنظام ، و حمل لواء الدعوة ، و الاقتداء بسنة نبينا محمد ﷺ و امثال أمره في أشد ساعات الحرج و الشدة ، ثقة بنصر الله و تمسكا بهدي النبي ﷺ و تحقيقاً لرغبته و عملاً بوصيته .. تراث رائع عظيم . إنه تراث أسامة بن زيد رضي الله عنه وأرضاه - حين أمره النبي على الجيش ، و في الجماعة من هم أكبر منه سناً و فضلاً ، و علمًا و عملاً .

هذا التاريخ الرائع للشباب بدأ من سيدنا على بن أبي طالب كرم الله وجهه - فقد كان أول من أسلم من الشباب والغلمان - وبلغ ذروته في جيش أسامة رضي الله عنه ، حين بعثه سيدنا أبو بكر رضي الله عنه نحو الشام تنفيذاً لارادة نبيه و حبيبه .

ثم تبعه واقف آثاره شباب في كل بلد من بلاد الإسلام ، حفاظاً على هذا التراث العزيز الغالي ، وأمانة للرسالة الإسلامية الخالدة ، و وفاء بالماهوج والأصلحة و الطريق ا هذا التراث الغالي ، و هذه الأمانة العظيمة يتطلب الآن من شباب مصر أن يفهم دوره القادر كل الفهم ، ثم يتقن تمثيل هذا الدور على مسرح الحياة الاجتماعية والسياسية والعلقانية في مصر ، وفي سائر أرجاء الوطن الإسلامي الكبير وبالتالي .

إن مصر لا تحتاج في هذا الوقت إلى دمه القاني أو مواتده المقتولة خسب بل أنه يحتاج أيضاً إلى فمه الصحيح للوقف ، و نظرته السليمة إلى الأوضاع . و تفكيره المأزن ، وأعصابه الماءنة ، ورؤيه الواضحة المحددة للهدف ، و عاطفته الفياضة للبذل و العطاء ، و جمده الدائب للعمل و التصنيع و البناء .

إن الأوضاع الفاسدة التي سادت البلاد العربية و الإسلامية و تدهورت إلى

درجة الصفر في بعض البلاد خالقها ونفسياً أنشأها فوضى فكرية عامة في عامة الشعب بوجه عام و في أوساط الشباب بوجه خاص .

هذه الأوضاع الفاسدة ، الموبوءة وغير الطبيعية هي المسؤولة أولاً عن هذه الفوضى و القلق . والشعور بالضياع ، ضياع هذا التراث العظيم ، و ضياع مواهب الشباب و طاقاته ، وإحساسه بضعف نفسه ، وقصوره في أداء الواجب ، و وجود صعوبات و عوائق في أداء دوره الرائع الذي خلق له .

و الحكام هم المسؤولون ثانياً عن وجود مثل هذه الأوضاع التي لا يجد فيها الشباب ، منطلاقاً لمطامحه و أحلامه و مجالاً لرغباته و أهدافه . .

إنه مصاب بعقد نفسية .

إنه يعتقد أن الحكومات أسمات به الظن ، خشيت برامج الثقافة والآداب بكل شيء فيه إشاع الشهوات ، و إثارة الغرائز ، و بسلسلات الفضائح و الحيانة و الجريمة . وأغنية لاتنتهي . ، و تأوهات لا تقف عند حد ، باعتبار أن الشباب لا يريد إلا الترفيه ، و لا يحب إلا الهوى أو بائعات الهوى ، أما غيرها من الأهداف و المطامح و الأسواق ، أما خدمة دينه و رسالته ، و أمته و بلاده ، فقد طال عهده بها .

و باعتبار أن الشعب أيضاً لا يريد إلا الهوى ، فسخرت أجهزة الإعلام كلها لتزويده بأقسام الهوى و فروعه ، و سائر أدواته و فنونه .

إنه يعيش في وضع ملئ بالتناقض . . و فقدان الاتزان ، هذا الوضع التقليل الساقط . . مليء بسائر المباحث و الزخارف وأسباب الفتنة و الغواية و الانحلال و التفسخ ، و متعة العاطفة الرخيصة ، و البرامج « المخدّرة » ، و لكنه وضع لا محل فيه للطموح مطلقاً ، و لا مكان فيه لاستخدام المواهب و القوى في سبيل هدف أسمى و أعلى من هذه المتع الرخيصة ، و المأرب الخفيرة .

## ★ البعث الإسلامي ★

### إلى الشباب الجامعي في مصر ! ★

إن الشباب أولى وأجدر بأن يفوض إليه مسئوليات جسام ، مثل تأسيس دول ، وفتح بلاد ، وقيادة شعوب ، وضع علوم ، وابتكار مناهج وطرق ، وكل ما يتعلق بانقلاب وإصلاح ، وتكوين وبناء .. و إنقاذ سفينة الإنسانية التي تسببت بها الأمواج العاتية والعواصف الموجاء ، وهو قادر - بحول الله وقوته - أن يؤدي هذا الدور العظيم بمقدمة وكفاءة ونجاح .

و لكن الأوضاع المتباينة التي نعيشها اليوم - مع الأسف جعلت الأمة كلها كعربة تسوقها خيول مختلفة ، نحو جهات مختلفة ، هذا يجرها إلى اليسار وذلك يجرها إلى اليمين ، هذا يشدها إلى الخلف ، وذلك يشددها إلى الإمام . و ذلك ما عبر عنه القرآن في أسلوبه المعجز البليغ ، و من أصدق من الله حديثا .

« ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ، و رجلاً سلماً لرجل ، هل يستويان مثلاً ، الحمد لله ، بل أكثرهم لا يعلمون » .

هذه الأوضاع التي ذكرناها وقفت بالشباب المسلم في مصر على نقطة دقيقة يصبح أن نسميها نقطة حرامة أو نقطة خفارنة أو نقطة مراقبة ! و يجب عليه أن يقف في هذه النقطة كحارس أمين ، و سد منيع دون هذه الرياح الموبوءة التي بدأت تهب من الغرب بشدة ، وأن لا ترغمه عداوة معسكر من الارتماء في معسكر آخر ، فينتقل من خطر أحمر إلى خطر أبيض أو أصفر ، ويغير ولاهه ورقه من سيد إلى سيد .

إن طبيعة التحول وطبيعة الانقلاب ، والظروف القاسية والضغوط السياسية ، والاغرامات المادية تسوق الإنسان بعض الأحيان إلى الوقوع في نوع آخر من المهاك ، ولون آخر من العبودية ، و الانسلال الفكري والاجتماعي التام .

إن العمل في الجماهير ، و بث الوعي الفكري والإيمان الإيجابي في صفوف الشباب ، و فيسائر الطبقات و الفئات في المدن والأرياف هو الطريق المفتوح لطاقات الشباب الحاملة و واهبه العظيمة ، و همته العالمية .

## ★ البعث الإسلامي ★

### إلى الشباب الجامعي في مصر ! ★

هذا الطريق هو أفعى وأجدى من أساليب النياحة والعزاء ، و العتاب والشكوى ، والاحتجاج والتحدي ، والاضجر والتذمر ، والسامة والملل ، و اليأس و القنوط ، أو التطرف أو الجمود .. فكلها سلبيات لا تقدم في القضية ولا تؤخر ، بل إنها تبدد الطاقات المذخورة تبديلاً .

و مع العلم و مع الاعتراف بأن مسئولية هذه الأوضاع والاستمرار فيها و الحدب على عناصر لا توثق بها ، وإتاحة الفرصة لها للركوب على أعناق الشعب المؤمن ، تقع على الحكومات وعلى أجهزة الثقافة والاعلام بوجه خاص ، إلا أن فقه الدعوة يحثّم علينا أن لا نزعم حكمانا على اختيار موقف المعاذ و الحافظ أو الوجل الخائف .. مادام طريق النصح ، و التوجيه ، و المؤاخذة السليمة ، والمعارضة الحكيمة ، و النقد المأذف البناء موجوداً ، و لكل شيء حدود وآداب ، فإذا تجاوز عن حده و خرج عن طوره ، تغير الرأي و المشورة و الأسلوب .

إن رياحاً جديدة قد بدأت تهب في هذه المنطقة .. و إن أخطاراً جديدة بدأت تدق أبوابها بعنف ، و تغييرات جذرية صارت تم في القشر الداخلي من الأرض و سوف تزلزل سطح الأرض في وقت قريب ..

هذه التغييرات صائرة أو متوجهة نحو مجتمع علماني خليط ، نحو مجتمع مادي مجرد « مجتمع مصرى ، يهودى ، قبطى ، مسيحي » ، إذا صحت هذه التعبير ، وقد يكون ذلك في سبيل الرفاهية والرخاء ، وتصنيع البلاد ، وفي سبيل السلام وحمامات السلام ، و لكنها تثير بالطبع تساؤلات و استفهامات كبيرة ، و الشباب المصري العظيم الذى كان دائماً على مستوى الشرف والكفاية .. محظوظ أنظار الجميع في هذه اللحظات الحاسمة الحالية ..

إنه - كما قلت - في موقع حرامة ، و نقطة خفارنة و مراقبة ، و لا يمكن بأن تم أي عملية في أرض النيل ، أرض الشهداء ، و أرض الاخوان المسلمين من

غير أن يسمح بذلك الشباب ، طبعة الاسلام ، و فرقه المطافىء و الامساعف عندما تخور القوى ، و تنهار الاعصاب ، و عنده « قوة » لا تضارعها قوة في وجه الأرض ، هي قوة الایمان و الثقة بالنصر . . ولا أريد به إيمان الفلاسفة و الحكماء و الساسة و الرعاع ، أريد به إيمان الأنبياء و الصحابة و « أشبال » الاسلام ، و صاحب الایمان أقوى دائمًا ، ولو تعطل من كل شارة و زينة ، و سلاح و كراع ، وقد وصف العلامة ابن قيم الجوزية - رحمه الله - هذا الایمان وتأثيره في النفوس فقال : « إن مخالفة الهوى تورث العبد قوة في بدنـه و قلـبه ولسانـه » و قال بعض السلف : « الغالب لهوا أشد من الذي يفتح المدينة وحده ، و كلما تمرن على مخالفة هواه اكتسب قوة إلى قوته » .

و قد صح عن رسول الله ﷺ : أخـوف ما أخـاف عـلـيـك شـهـوـاتـ الـغـيـ فـي بـطـونـكـ و فـروـجـكـ و مـضـلـاتـ الـهـوـيـ » .

بـهـذـا الـايـمـانـ ، و بـهـذـا الـوعـيـ ، و بـهـذـا الذـكـارـ و الـاخـلـاصـ و الـنـظـامـ يـسـتـطـعـ هـذـا الشـابـ الصـادـمـ ، الصـابـرـ ، الـمـكـافـحـ الـمـناـضـلـ ، مـا لـا تـقـدـرـ عـلـيـهـ جـيـوشـ وـ حـكـومـاتـ ، لـأـنـ رـوـحـ الـأـمـةـ ، وـ عـيـنـهـ الـبـيـقـظـةـ السـاهـرـةـ ، وـ يـدـهـ الـعـالـمـةـ الـحـارـسـةـ .

بـكـلـ صـبـرـ ، وـ عـزـمـ ، وـ تـمـاسـكـ ، وـ هـمـةـ لـا تـعـرـفـ الـفـتـورـ ، قـوـمـوا عـلـىـ جـبـهـتـكـ كـالـجـبـالـ الـرـوـاسـيـ ، كـوـنـوا كـالـبـنـيـانـ الـمـرـصـوصـ ، شـبـكـوا الـأـيـدـىـ بـالـأـيـدـىـ ، وـ ضـمـوا الـأـكـنـافـ إـلـىـ الـأـكـنـافـ ، وـ رـصـفـوا الـأـقـدـامـ بـالـأـقـدـامـ ، وـ لـاتـنـازـعـوا فـتـشـلـوا وـ تـذـهـبـ رـيـحـمـ ، وـ سـوـفـ لـا تـخـسـرـونـ أـيـ جـوـلـةـ مـا دـامـ اللـهـ مـعـكـمـ ، فـهـوـ أـقـوىـ مـنـ كـلـ قـوـىـ ، وـ أـكـبـرـ مـنـ كـلـ كـبـيرـ ، وـ أـعـلـمـ مـنـ كـلـ عـالـمـ وـ خـبـيرـ .

وـ لـيـنـصـرـنـ اللـهـ مـنـ يـنـصـرـهـ ، إـنـ اللـهـ لـقـوـىـ عـزـيزـ !

محمد الحسيني

الى عددها الله فيما مضى من قتل الفوس و الاهلاك بالصاعقة و الرجفة و غير ذلك حتى ذكرهم بأصحاب السبت ، و تسمية السبت مأخوذة من القطع يعني أن الأشياء مبتدأ و تمت خلقتها ، وقيل هو مأخوذ من السبت الذي هو الراحة والدعة . و السبت هو أول أيام الأسبوع تعظمه اليهود زاعمة إن الله استراح فيه

بعد خلقه السماوات والأرض فكذبهم الله بقوله ( و لقد خلقنا السماوات والأرض و ما بينهما في ستة أيام و ما مسنا من لغوب ) أى تعب و ألمهم الله السبت عقوبة لهم كما وردت آثار كثيرة نقتصر منها على بعض ما نقله ابن جرير قال حدثنا ابن حميد ، قال حدثنا سلمة بن الفضل ، قال حدثنا محمد بن إسحاق عن داود بن الحسين عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : إن الله إنما افترض على بني إسرائيل اليوم الذي افترض عليكم في عهدمكم يوم الجمعة شفالفوا إلى السبت فعظموه و تركوا ما أمروا به فلما أتوا إلا لزوم السبت ابتلاهم الله به خرم عليهم ما أحل لهم في غيره و كانوا في قرية بين إيله و الطور ، يقال لها ( مدین ) خرم الله عليهم في السبت الحيتان صيدها و أكلها .

و كانوا إذا كان يوم السبت أقبلت عليهم شرعاً إلى ساحل بحرهم حتى إذا ذهب السبت ذهبوا فلم يروا حوتاً صغيراً و لا كبيراً فكانوا كذلك حتى إذا طال الأمد و قرموا إلى الحيتان - يعني اشتدت شهوتهم - عهد رجل منهم فأخذ حوتاً سراً مجاوزة حد الله أو حدود الله و أوامره التي حددتها في شريعته من حرام و حلال يوم السبت فرميه بخيط ، ثم أرسله في الماء وأويده به ونداً في الساحل فأوثقه ثم تركه حتى إذا كان الغد جاء فأخذته أى أن لم آخذه في السبت ، ثم انطلق به فاكله حتى إذا كان يوم السبت الآخر عاد مثل ذلك و وجد الناس ريح الحيتان و عثروا و عثروا على صنيع ذلك الرجل ففعلوا كا فعل وأكلوا سراً زماناً طويلاً لم يتعجل الله عليهم بعقوبة حتى صادوها علانية و باعواها بالأسواق .

## لماذا مسخ أصحاب السبت ؟

فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسري

( ٦٥ ) ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقتلوا لهم كانوا قردة خاسئين

( ٦٦ ) بفعلناها نكلا لما بين يديها و ما خلفها و موعظة للتقين ) .

يدرك الله اليهود جريمة عظيمة من جرائم بعض أسلافهم دون أن يحملهم إياها كما حملهم جريمة التولى عن التوراة كتاب الله و هذا أيضاً من جملة إعلام نبوة و معجزاته عليه حيث أخبرهم بما لم يعلمه هو ولا قومه قبل نزول القرآن ولا يعلمه سوى اليهود علينا سرياً يتكلمونه فيما يفهم لما فيه من الخزي العظيم فيقول : ( و لقد علمتم ( و لم يقل ) أخبارهم بما لم يعلمه هو و لا قومه قبل نزول القرآن ولا أصحاب السبت . ولكن لما كانوا متولين الذين نقضوا الميثاق يوم رفع الطور أنسد الله الفعل إليهم و وجه اللوم عليهم حيث قال في الآية السابقة ( ثم توبيخ من بعد ذلك ) تحذيراً لبعاده أن يتولوا قوماً غضب الله عليهم من أى ملة أو نحلة خصوصاً من زعم إن الله ولدأ أو أفترى على الله بأى شيء يخالف دينه .

و لقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت ) و الاعداء هو مجاوزة حد الله أو حدود الله و أوامره التي حددتها في شريعته من حرام و حلال وكل من تجاوز حد شئ إلى غيره فقد تعداه إلى ما مجاوزه إليه من سواه قال تعالى ( تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ) وهذا من بعض تحذير الله لبني إسرائيل الماصرين لمحمد ( عليه السلام ) والمصررين على جهود رسالته وكفرهم بما أنزل إليه أن يحيق بهم ما حاقد بأسلافهم من أنواع العقوبات

## ★ البعث الإسلامي

### لماذا مسح أصحاب السبت؟

وقالت طائفة منهم من أهل البقية - يعني أهل التمييز والفهم يبقون على أنفسهم طائفة أخرى لم نأكل الحيتان ولم نتهي القوم مما صنعوا ( لم تعظون قوماً الله مهلكم أو معدتهم عذاباً شديداً ، قالوا معدنة إلى ربكم ) واستخطنا أعمالهم ( ولعلهم يتقوون ) قال ابن عباس فيما هم على ذلك أصبحت تلك البقية في أندיהם ومساجدهم وقدوا الناس فلا يرونهم ، فقال بعضهم البعض إن الناس لشأنها فانظروا ما هو ؟ فذهبوا ينظرون في دورهم فوجدوها مغافلة عليهم قد دخلوا ليلاً فغلقوها على أنفسهم كما يغلق الناس على أنفسهم فأصبحوا فيها قردة ، وإنهم ليعرفون الرجل بعينه ، وإنه لفرد .

( قال ) قال ابن عباس فلولا ما ذكر الله أنه أنجى الذين يهونون عن السوء لقلنا أهلك الجميع قالوا وهي القرية التي قال الله لمحمد ( عليه السلام ) وأسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر ) الآية ١٦٢ من سورة الأعراف ، وقال قتادة في قوله ( ولقد علمتم الذين اعدوا منكم في السبت ) قال خرمت عليهم الحيتان يوم السبت فكانت تشرع إليهم فيه فقط بلاه من الله ليظهر علمه فمن يطعه من يعصيه فصار القوم ثلاثة أصناف صنف أمسك و نه عن المعصية و صنف أمسك عن حرمة الله و صنف انتهكها و مرد على المعصية فلما أبوا إلا الاعتداء إلى ما نهوا عنه قال الله لهم ( كونوا قردة خاسدين ) فصاروا قردة لها أذناب بعد أن كانوا رجالاً و نساءً ، انتهى بتصريف .

و الآثار في ذلك كثيرة سنذكر بعضها مع مهام القصة في سورة الأعراف عند موضوعها إن شاء الله ، و قوله تعالى ( كونوا قردة خاسدين ) يعني فقلنا لهم صرروا قردة صغارين مبعدين عن مجتمعكم ذليلين بتكتيس خلفتكم فالخسوس هو الابعاد

## ★ البعث الإسلامي

صفر ١٣٩٨

و الطرد كقول الراجز ( كالكلب إن قلت له أخساً انخساً ) يعني إن طردته فطرد ذليلاً صاغراً .

و هذه العقوبة الفظيعة الشديدة مناسبة لحيث نفوسهم و سوء طريقتهم الملتوية واستخفافهم بمحاسب الله سبحانه وإلحادهم في أسمائه تعالى فإن معصيتهم تضخم جداً لكونها مشوبة باللحيلة على الله كأن الله غور جاهل تتطلّى عليه الحيل والتلبيس ( ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم و نجواتهم و أن الله علام الغيوب - و ربكم يعلم ما تكن صدورهم و ما يعلّون ) .

إن معصيتهم و إن كانت في الفروع فإن لها أعظم المساس في الأصول بادي به لارتكازها على الحيلة ( هذا من جهة ) و من جهة أخرى إصرارهم عليها وعدم إنصياعهم لنصح الآمررين بالمعروف اعتماداً على الاحتيال على الله استخفافاً بجهادية وإلحاداً في بعض أسمائه من العليم والخير ، والمحيط والبصير والرقيب والحفظ فكلّهم قالوا بلسان الحال أو المقال إننا أمهر من الله وأحكمناه لا يعلم بجيئنا وليس تعالى بغياناً ولا محبطاً بكل ما نعمل ، وليس يضر ما نفعله بالسمك من اصطياده و احتباسه يوم السبت ، و عدم إمساكه إلا في يوم الأحد وما بعده وليس رقيباً أو حفيظاً يلاحظنا في كل شيء . لقد جمعوا في خطبتهم النكول عن عهد الله و النكوص عن مقام الإنسانية و النزول بشرفها إلى مستوى البهائم التي لا ترتفع عن حاجة البطون و شهوات النفوس .

ثم الانتقاد للإلحاد في أسمائه حيث جرى ارتكابهم للخطيئة بوسيلة الحيلة التي فيها هدم للعقيدة والضمير فلما وصلت بهم طبيعتهم اليهودية إلى هذا الحد استحقوا من الله تلك العقوبة الشديدة هم و من سكت عن أمرهم بالمعروف و عن نهيم عن المنكر لأن سكوته صادر عن إلحاد في أسماء الله و تبدل للقول الذي قيل لهم .

جعلها الله سبباً في كون المسوخ لا يعيش أكثر من ثلاثة أيام ولا يجوز أبداً أن يقاس عدم تعلم القرود الأصلية على أولئك ، فهذا قياس فاسد لأن القرد الأصلي لا يذكر له صورة غير صورته أو خلقة غير خلقته أما هؤلاء فمن مقتضيات الحال و لوازمهما أن يكونوا على حالة تبقى فيها جميع أحاسيسهم الإنسانية ليصروا صنيع الله بهم و يتذوقوا صنوف العذاب الحسي والمعنوی وإلا فما الفائدة في مسخهم إذا كانوا لا يميزون ولا يتعارفون ولا يتآملون ؟ .

( المسألة الثالثة ) قوله سبحانه و تعالى ( كونوا قردة خاسدين ) ليس هذا أمراً لهم لأنهم ما كانوا أبداً قادرين على أن يقلّبوا أنفسهم قردة فتتغير بها صورتهم الإنسانية إلى صورة قردية ، وإنما المراد من ذلك سرعة التكوين منه سبحانه و تعالى كقوله ( إنما قولنا لشئ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ) و المعنى أنه سبحانه و تعالى إن يعجزه ما أراد إزالته من العقوبة هؤلاء بل لما قال لهم كونوا قردة صاروا كما أراد الله بهم فهو كقوله سبحانه ( كما لعننا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولاً ) و لا يمتنع أن يخاطبهم الله بذلك و أن يصروا قردة كما أراد ذلك لكن المؤثر في هذا التكوين الجديد هو قدرة الله و إرادته .

( المسألة الرابعة ) روى عن مجاهد رحمة الله أن المسوخ لقولهم بالطبع والختم وليس اصورهم وهذا القول مخالف لما عليه الجمهور بالاجماع كما أنه مخالف لنصوص القرآن بما سنو ضنه ، وقد تثبت بقوله بعض المفسرين في هذا القرن من حاولوا إخضاع نصوص القرآن لقول الغربيين و مفاهيمهم الفاسدة . و قد استدل ( مجاهد ) على افتاء المسوخ الحسي بشبهتين ( إحداهما ) أن المسوخ يكون فيه إيجاد و إعدام ، أي إعدام هيكل الإنسان و إيجاد هيكل قردي مكانه وهذه الشبهة مردودة بعده أمور . ( أحدثها ) أن الإنسان ليس هو تمام هذا الهيكل لأنه قد يكون سيناً أو هزلاً

فإن السكت لا يصدر إلا عن عدم شعور بالمسؤولية أو افتاء على الله بأن يزعم الساكت أنه ليس مسؤولاً عن خطيئة غيره كما يزعمه العصريون المعطلون لهذه الشعيرة كثيرة من شعائر الإسلام وكما يزعمه كثير من المسلمين المغفلين أو المتهربين عن واجبهم والساكنين مسك الانزعاج به فانهم يضيفون إلى خطيئة تركهم الأمر و النهي افتاء على الله لا يشعر به أحدهم إذ يقول ( أنا في عافية ) ومن أعطاك ذلك العافية ؟ إن الله لم يقول ( والعمر إن الإنسان لن في عافية ) بل قال قوله العظيم الذي لا يترك إلا حاطئ أو ملحد ، و هنا مسائل :

( المسألة الأولى ) هؤلاء الممسوخون قردة هل يبق لهم وعقل يتصرون به ما حل عليهم من العذاب أم لا ؟ ، والجواب على كل حال أنه من مقتضيات العقوبة ولو ازمهما إبقاء أفهامهم ليعرفوا ما نزل بهم من العذاب و ينظر بعضهم إلى بعض بنظر التعارف الكامل فيحسوا بشئوم المقصبة و سوء عاقبة الفعل الذميم المركب من الخطيئة و الحيلة و إلا لما بقي للعقوبة فائدة .

( المسألة الثانية ) هل يكونون متآلين بهذا المسوخ أو يكونون بمجرد المسوخ غير متآلين كالقرود الأصلية لا تحس بألم ولا ترى بصورتها من بأس ؟ والجواب إن حالتهم ليست كحال القرود الأصلية فإن الأصلية لا تتألم حال سلامتها أما هؤلاء فإنه لا بد من تألمهم في تغير خلقتهم تماماً حسياً و تألم معنوياً عقوبة من الله ، فهم لما تغيرت خلقتهم و صورتهم أنالموا الله الآما حين تغيرها ، ثم أعقب هذه الآلام الحسية بالآلام معنوية فيها يشهد كل واحد منهم بنفسه و برفقائه و أقاربه و ذويه فتقطع نسوهم حسرات على سوء مصيرهم و ما شاهدوه من ثمار خططيتهم إلا أنهم لا يقدرون على النطق و الأفعال الإنسانية .

فهم في حالة ذعر و خجل و حسرة يتذوقون منها صنوف الآلام التي ربما

سبينا بعد هزالة أو هزلاً بعد سمه فالاجرام حينئذ مستبدلة .

وتأييضاً أن الإنسان أمر وراء هذا الهيكل المحسوس على ما قدره النظار ، وعلى كل حال فلا مانع من نطرق التغير إلى هيكله .

وثالثاً إن المسخ لا يكون إعداماً بالكلية للجسم الأصلي و إيجاداً بالكلية للجسم المسوخ الثاني وإنما هو تغيير في الصورة وانكاش بعض الجوارح ، و على كل حال حتى لو نزلنا إلى ما يقوله فلا يمتنع من قدرة الله ولا على حكمته أفر يغير بعض الصورة أو جميعها أو يغير الهيكل بما فيه ويوجد هيكل آخر مكانه ، فالمSX الحسي جائز على كل تقدير بل ينبغي اعتقاده ولا يجوز قطعاً تأويله بضروره التأويل لأن هذا من الظلم بتعبير القرآن وضرب بعضه ببعض ولا يجوز قطعاً تأويله مسخهم بالطبع والجسم على القلوب كما قاله مجاهد رحمه الله ، لأن الطبع والجسم عام شامل لبعض الكفار من أقدم العصور إلى أحدهما كما قال تعالى في شأن الكفار أجمعين ( ختم الله على قلوبهم و على سمعهم و على أبصارهم ) وكما قال في بنى إسرائيل ( بل طبع الله عاليها بکفرهم )

و (رابعاً) قوله - إن جوزنا ذلك لما أمنا في كل ما نراه قرداً أنه كان إنساناً عاقلاً - فنقول يحصل الأمان بجماع الأمة استناداً على الأحاديث الصحيحة أن المسوخ لا يعيش فضلاً عن أن يتناسل .

(خامساً) إن القرآن يفسر بعضه ببعض فيما حاول المتأول تأويل جملة منه نازعته الجلة الأخرى ووقفت دون ما يريد كلامها تقول للتأول ( لا تظلم سابقتي بتأويل لا يريد الله ) .

فننظر إلى قوله سبحانه وتعالى ( جعلناها نكلاً لما بين يديها و ما خلفها و موعضة للثمين ) جزم غاية الجزم أن المسخ حسي لا معنى لأن المسخ المعنى

لا يكون فيه عبرة ولا نكال ولا موعضة حيث إنه لا يصره كل أحد ولا يحس به أكثر البصرين . وذلك أن عقوبة القلوب عامة في جميع الكفار والمنافقين وبعض الفاسقين وأكثر المبتدةة من أهل القبلة لكن لا يحس بهذا المسخ إلا النادر فلا يكون فيه موعضة ولا نكال أبداً لعدم إبصار الآخرين له بخلاف المسخ الحسي الذي حل بأصحاب السبت فإنه شئ شاهده قومهم وجاوروهم وأجعمت كتبهم على نقله وانتشرت أخباره من الأقدمين ، إلى الآخرين فلهذا قال الله سبحانه ( جعلناها نكلاً لما بين يديها ) من حضرها ( و ما خلفها ) من لم يحضرها ولكن توالت أخبارها عنده ( و موعضة للثمين ) يتعظون به فلا يعملون مثل عملهم خوفاً من أن يصيبهم ما أصابهم من هذا المسخ الحسي الشنيع و تخصيص المتفقين بالاتعاظ لقوة إيمانهم بالغيب و خشيتهم من الله فهم يتعظون بالحوادث و يعظ بعضهم بعضاً . فهذه الآية تدل بكل جلاء ووضوح على أن هذا المسخ حسي لا معنى و أن ما قاله (مجاهد) رحمه الله يعتبر هفوة كبيرة منه على قدر كبره ، تغمده الله الله عاليها بکفرهم .

فقوله سبحانه ( جعلناها نكلاً - يعني جعلنا هذه الأمة المسوخة زجرآ وقيودآ ولجامآ يشكل يعني يمنع غيرهم من ارتكاب خططيتهم ، يمنع ( ما بين يديها من ) حضرها و شاهدتها ، و يمنع ( ما خلفها ) من الأمم اللاحقين من سعوا بخبرهم الشنيع و عقوبائهم الفظيعة .

( المسألة الخامسة ) أشكل على بعض الناس ما روی عن النبي عليه السلام أنه قال ( فقدت أمة من بنى إسرائيل لا يدرى ما فعلت ولا أراها إلا الفار ) وإنه

امتنع عن أكل الضب خائفًا كونه ما مسخ ، وما رواه البخاري في تاريخه لا في صحيحه عن عمر بن ميمون أنه رأى في الجاهلية قردة قد زنت فترجمتها القردة فترجمتها معهم

## العالم الجديد في حساب البعثة المحمدية و منحها :

سماحة الشيخ السيد أبي الحسن على الحسيني الندو

الحقيقة التي لامراء فيها أن هذا الدور الذي نعيشه ، وما يليه من الأدوار التاريخية القادمة ، كلها في حساب البعثة المحمدية ، ودعونه العامة الخالدة ، وجهوده المشكورة المثمرة ، لأنه رفع - أولا - هذا السيف المصلت على رقاب الانسانية الذي كاد يقضى عليه ، ثم أغناها بمنج غالبة و معطيات خالدة ، و هدايا طريقة جديدة ، بعث فيها الحيوية و النشاط ، والهمة والطموح ، والعزة والكرامة ، والهدف الصريح ، والغاية النبيلة ، واستهل - بفضل هذه المنج و المعطيات - عهد جديد من السمو الانساني ، و الثقافة و المدينة ، و الرعاية و الاخلاص ، وانشاء الانسان و تكوينه الخلقي و الاجتماعي .

### منح البعثة المحمدية الستة و أثرها في تاريخ الانسان :

وذكر الآن - على سبيل المثال لا الحصر - ستة من معطياته الاهمة ، ومنحه الأساسية الغالية التي كان لها الدور الاكبر في توجيه النوع البشري ، و إصلاحه و إرشاده ، ونضته و إزدهاره و التي خلقت عالماً مشرقاً جديداً لا يشبه العالم الشاحب القديم في شيء .

### عقيدة التوحيد النقيمة الواضحة :

مأثرته الأولى - علیه السلام - أنه منح الانسانية عقيدة التوحيد الصافية الغالية ، فهي عقيدة ثانية معجزة ، متعددة بالقوة و الحياة ، مقلبة للإوضاع ، مدمرة للآلهة

ما استشهد به ابن العربي في الأحكام على تناسل المسوخين .

و قد محصر العلماء الأعلام بهذه الأخبار فقالوا عن تحفته علیه السلام من الفار و الضب أن هذا كان بادىً الأمر قبل أن ينزل عليه الوحي بأن الله لم يجعل لليسخ نسلاً فهذا حدس منه قبل نزول الوحي ، أما بعده فقد أخبرنا بقوله ( علیه السلام ) لمن سأله عن القردة و الخنازير - هي ما مسخ ؟ فقال إن الله لم يملك قوماً أو يعبد قوماً فيجعل لهم نسلاً و إن القردة و الخنازير كانوا قبل ذلك » وهذا نص صريح صحيح أخرجه الإمام مسلم في كتاب القدر عن عبد الله بن مسعود و ثبتت الصوص باكل الضب بحضرته وعلى مائته ولم ينكر ، وأما خبر القردة المرجومة من القرود فلا يصح ، و كلها تدور على عباد بن العوام عن حصين و على عبد الملك بن مسلم عن عيسى بن حطان و كلامها لا يحتاج بهما فيمتبر الخبر ساقطاً من أساسه ، ولو صح على سبيل الفرض و الجدل وكانت تلك القرود هن الجن المشككة لأن الحيوان لا تكليف عليه .

( المسألة السادسة ) هناك دليل من القرآن في سورة المائدۃ على أن مسخ أصحاب النبي مسخ حسني لا معنوي وهو قوله تعالى ( وجعل منهم القردة والخنازير ) قال المفسرون مسخت شيوخهم خنازير وشبابهم قردة ، فلما شاهدتم الذين ينادحونهم أخذوا يكلموهم ويدركوهم بالنصيحة فلا يستطيعون جواباً إلا البكاء وهذا مما يرد قول مجاهد ، قال ابن جرير ( قول مجاهد خلاف قول جميع الحجج التي لا يجوز عليها الخطأ و الكذب فيما نقلته بمعناها عليه و كفى دليلاً على فساد قول إجماعها على خطبيته .

إليها البعثة المحمدية التي أخلفت الإنسانية بهذه التحفة النادرة - عقيدة التوحيد -  
التي كانت بمحملة مغمورة ، مظلومة مخونة ، أكثر من أي عقيدة في العالم ، ثم رد  
صادها العالم كله . و تأثرت بها الفلسفات العالمية والدعوات العالمية كلها في قليل  
أو كثير .

إن بعض الديانات الكبيرة التي نشأت على الشرك و تعدد الآلهة ، و امتهنت  
به لحماً و دماء ، و اضطررت في الأخير إلى أن تعرف - و لو بصوت خافت ،  
و همسة في الآذان - أن الله واحد لا شريك له و أرغمت على تأويل معتقداتها  
المشركة تأويلاً فلسفياً يبرهنها عن تهمة الشرك و البدعة ، و يجعلها متشابهة بعقيدة  
التوحيد في الإسلام بقدر ما ، وبدأ رجالها و سيدتها ، يستحبون من الاعتراف  
بالشرك و يخجلون من ذكره ، وأصبحت هذه الأنظمة المشركة كلها بمثابة النقص ،  
و الشعور بالصغر و الملوان (Inferiority Complex) فكانت هذه التحفة أغلى  
التحف التي سعدت بها الإنسانية بفضل بعثته - مثلكم -

### مبدأ الوحدة الإنسانية و المساواة البشرية :

و مأثرته الثانية العظيمة ، و منه الباقية السائرة في العالم ، هو تصور الوحدة  
الإنسانية ، كان الإنسان موزعاً بين قبائل و أمم و طبقات بعضها دون بعض ،  
و قوميات ضيقة ، و كان التفاوت بين هذه الطبقات تفاوتاً هائلاً كتفاوت بين  
الإنسان و الحيوان ، وبين الحر والعبد ، وبين العايد والمعبد ، لم تكن هناك فكرة  
عن الوحدة والمساواة إطلاقاً ، فأعلن النبي - مثلكم - بعد قرون طويلة من الصمت  
المطبق ، والظلم السائد ، ذلك الإعلان الثائر ، المدهش للعقل ، المقلب للأوضاع:  
«أيها الناس إن ربكم واحد . و إن أباكم واحد ، لكم لآدم ، وآدم من تراب ،  
أن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعرب على عجمي فضل إلا بالتفوى (١)» .

(١) كنز العمال .

الباطلة لم تزل و لن تزال الإنسانية مثالها إلى يوم القيمة .  
هذا الإنسان الذي يحمل دعوى فارغة ، و مزاعم جوفاء من الشعر والفلسفة  
و السياسة والمجتمع ، و الذي استبعد الأمم والبلاد مراراً كثيرة ، والذي حول  
الأحجار الصماء أزهاراً عبة فيgame ، و غير الأنهار من بطون الجبال ، والذي أدعى  
الربوية أحياناً ، هذا الإنسان كان يسجد لأشياء تافهة لا تضر ولا تنفع ، و لا  
تعطى ولا تنفع ، و إن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذه منه ، ضعف الطالب  
و المطلوب (١) ، وكان يركع أمام أشياء صنعوا بنفسه ، و يخافها ، ويرجو منها  
الخير ، إنه لم يخز ساجداً للجبال والأنهار ، و الأشجار و الحيوانات ، والأرواح  
و الشياطين ، و سائر مظاهر الطبيعة خسب ، بل سجد للحشرات والديدان أيضاً ،  
و قضى حياته كلها بين هواجر و وساوس ، وبين أخيلة وأوهام ، وأمان وأحلام ،  
كانت نتيجة الطبيعة الجبن والوهن ، و الفوضى الفكرية ، والقلق النفسي و فقدان  
الثقة ، وعدم الاستقرار ، فأغناه - مثلكم - بعقيدة صافية نقية سهلة سائعة ، حافظة  
للهيم ، باعثة للحياة ، فتخلص عن كل خوف و وجل ، و صار لا يخاف أحداً  
إلا الله ، وعلم علم اليقين ، أنه وحده ، هو الضار والنافع ، و المعطى والمانع ،  
و أنه وحده الكفيل ل حاجات البشر ، فتغير العالم كله في نظره بهذه المعرفة الجديدة ،  
و الاكتشاف الجديد ، و صار مصنوناً عن كل نوع من العبودية و الرق ، و عن  
كل رجاء و خوف من المخلوق ، و عن كل ما يشتت البال ، و يشوش الأفكار ،  
فقد شعر بوحدة في هذه الكثرة ، و اعتبر نفسه أشرف خلق الله ، و سيد هذه  
الأرض ، و خليفة الله فيها يطيع ربها و خالقه ، و ينفذ أوامره ، و يتحقق بذلك  
هذا الشرف الإنساني العظيم ، و العظمة الإنسانية الخالدة التي حرمها الدين منذ  
زمن بعيد .

(١) سورة الحج الآية : ٧٣ .

و هذا الإعلان يتضمن إعلانين ، هما الدعامتان اللتان يقوم عليهما الأمن والسلام ، وعاليهما قام السلام في كل زمان ومكان ، و هما وحدة الربوبية والوحدة البشرية ، فالإنسان أخو الإنسان من جهتين ، و الإنسان أخو الإنسان من تين ، مرة « و هي الأساس » لأن الرب واحد ، و مرأة مازية لأن الأب واحد ، « يا أيها الناس انقو ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها و بث منها رجالاً كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذي تسلموه به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقياً (١) ، « يا أيها الناس أنا خلقتكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوراً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أنتم » ، إن الله عالم خبير (٢) .

إنها كلمات خالدة جرت على لسان النبي - صلى الله عليه و آله وسلم - في حجة الوداع وحيينا قام النبي - صلى الله عليه و آله وسلم - بهذا الإعلان التاريخي العظيم ، لم يكن العالم في وضع طبيعي هادئ يسieg فيه هذه الكلمات الحريمة الصريحة ، ويطيقها ، إن هذا الإعلان لم يكن أقل من زلزال هائل عنيف ، إن هناك أشياء قد تتحملها بصورة تدريجية ، أو من وراء ستار ، مثل الستار الكهربائي ، فقد تامسه إذا كان مغطى أو داخلاً في باطن الأسلام ، .. و لكننا إذا لمسناه عارياً أصابتنا صدمة عنيفة ، أو قضى علينا بثاناً .

إن الأشواط البعيدة ، و المسافات الشاسعة من العلم و الفهم ، و الفكر الإنساني التي قطعها الإنسانية اليوم بفضل الدعوة الإسلامية ، و ظهور المجتمع الإسلامي ، وبجهود الدعاة ، و المصلين و المربيين ، جعلت هذا الإعلان الهائل ، التأثير القاتر ، المزبور لأوكار الجاهلية ، و معاقل الشرك و الوثنية و العنصرية ، حقيقة يومية عادية تناولها اليوم كل مؤسسة سياسية واجتماعية في العالم ، و منها ميثاق حقوق الإنسان

(١) سورة النساء ١ . (٢) سورة الحجرات ١٣ .

) Human Rights Charter ( الذى حلت لواده الأمم المتحدة ، وتصريحات تقوم بها كل جمهورية وكل مؤسسة عن الحقوق الإنسانية ، و المساواة الإنسانية ، فلا يستغبها أحد ، و لكن أفق على الإنسان حين هن الدهر ، سادت فيه عقيدة أشرفية بعض الأمم و الأسر و كونها فوق مستوى البشر ، وكانت بعض الأسر و السلالات تعزو نسبها إلى الشمس و القمر ، و إلى الله سبحانه ، « تعالى الله عما يقول الظالمون علوأً كبيراً » إن القرآن حكى لنا قول اليهود و النصارى ، نحن أبناء الله و أحبابه (١) ، و كان فراعنة مصر يزعمون أنهم تجسيد لاله الشمس « رع » ، (Ray) و مظاهر له .

أما في الهند فقد عرفت فيها أسرتان سبتاً « سورج بنسي » يعني أبناء الشمس و « جندر بنسي » أبناء القمر ، أما في إيران فقد كانت أكسرتها يزعمون أنه يجري في عروقهم الدم الالهي ، و كان أهل البلاد ينظرون إليهم نظرة تقدير و تأله ، و كان من ألقاب كسرى أبوريز (٦٢٨ - ٥٩٠) و وصفه « في الآلة إنسان غير فان » ، و في البشر إله ليس له ثان ، علت كنته ، و ارتفع مجده ، يطلع مع الشمس بضوئه و ينير الليالي المظلمة بنوره (٢) .

و كذلك كانت القياصرة آلهة ، فكان كل من تملك زمام البلاد كان إلهًا ، و كان لقبهم « August » يعني « الممدوح الجليل » (٢) .

أما الصينيون فكانوا يعتبرون الامبراطور ابن السماء و يعتقدون أن السماء ذكر ، والأرض أنثى و باتصالهما خلق هذا الكون ، و أن الامبراطور خطا الأول

(١) سورة المائدة ١٨ . (٢) إيران في عهد الساسانيين ص ٦٠٤ .

(٣) راجع العالم الروماني ( The Roman World ) تأليف Victor ChoPart

عليه من هذا الانسان ، انه رفع مكانته حتى صار الانسان خليفة الله و نائبه ، خلق له العالم ، وهو خلق الله وحده ، هو الذى خلق لكم ما في الأرض جبعا (١) ، و أنه أشرف خلق الله ، وفي مكان الرئاسة والصدارة ، و لقد كرمنا بني آدم و حلناهم في البر والبحر ، و رزقناهم من الطيبات و فضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا (٢) .

و ليس أدل على كرامته و الاعتراف بعظمته من قوله : « الخلق عباد الله ، فأحب الخلق إلى الله من أحسن إلى عباده (٣) » .

و ليس هنا أبلغ في الدلالة على سمو الإنسانية ، و التقرب إلى الله بخدمتها ، و شرف الإنسانية و علو قدرها ، لقد بلغ الإنسان قبل البعثة المحمدية إلى حضيض الذل والهوان ، فلم يكن على وجه الأرض شئ أصغر منه وأحقير ، وكانت بعض الحيوانات « المقدسة » وبعض الأشجار « المقدسة » التي علقت بها أمساطير ومعتقدات خاصة ، أكرم وأعز عند عبادها ، و أجدر بالصيانة ، و المحافظة عليها من الإنسان ولو كان ذلك على حساب قتل الأبراء ، وسفك الدماء ، وكانت تقدم لها القرابين من دم الإنسان و لحمه من غير وخز ضمير ، و تأنيب قلب ، و قد رأينا بعض نماذجها و صورها البشعية في بلاد متقدمة راقية ، كالهند في القرن العشرين ، فأعاد سيدنا محمد - صلى الله عليه و آله وسلم - إلى الإنسانية كرامتها و شرفها ، و رد إليها اعتبارها وقيمتها ، وأعلن أن الإنسان أعز وجود في هذا الكون وأغلى جواهر

في هذا العالم ، و ليس هنا شئ أشرف وأكرم وأجدر بالحب ، وأحق بالمحافظة

(١) انظر « تاريخ الصين » ، « بقلم جيمس كاركرن » .

(٢) سورة البقرة ٢٩ . (٣) سورة الاسراء ٧٠ .

(٤) رواه البخاري . (٥) رواه مسلم في صحيحه .

هو يذكر هذين الزوجين (١) . أما العرب فكانوا يعتبرون كل من سواد « العجم » ، وكانت قبيلة قريش ترى ترى نفسها أشرف قبائل العرب ، و تحافظ على امتيازها في الموسم ، فلا تشارك الناس في موافقهم و مساكمهم (٢) ولم تكن تدخل عرفات مع الحجاج ، بل تبقى في الحرم و تقف بالمزدلفة (٣) و تقول نحن أهل الله في بلاده ، و قطان بيته ، و تقول نحن حمس (٤) .

إعلان كرامة الانسان وسموه :

و الملة الثالثة العظيمة على النوع البشري ، هو إعلان كرامة الانسان وسموه و شرف الإنسانية و علو قدرها ، لقد بلغ الإنسان قبل البعثة المحمدية إلى حضيض الحيوانات « المقدسة » وبعض الأشجار « المقدسة » التي علقت بها أمساطير ومعتقدات سيدنا محمد - صلى الله عليه و آله وسلم - إلى الإنسانية كرامتها و شرفها ، و رد إليها اعتبارها وقيمتها ، وأعلن أن الإنسان أعز وجود في هذا الكون وأغلى جواهر

(١) انظر « تاريخ الصين » ، « بقلم جيمس كاركرن » .

(٢) انظر كتب الحديث والسير . (٣) عرفات خارج الحرم .

(٤) رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها .

في أوربا ، و في الشرق الأوسط ، فقد دانت الديانات القديمة في الهند بعقيدة ديانة و فلسفة في العالم القديم و الحديث ؟ .  
التاسخ ، و فلسفته التي لا مجال عندها في إرادة الإنسان و تصرفه مطلقاً ، و أن كل إنسان مضطر لا محالة لنبيل عقوبة ما ، لما قدمت يداه في حياته الأولى ، و ذلك عليه السلام : « الراحمون برحمهم الرحمن ، أرجوا من في الأرض يرحمكم من في السماوات (١) » .

يُنادي نادت المسيحية بأن الإنسان عاص و مذنب بالولادة والفتورة ، و المسيح صار كفارة و فداماً له عن هذه الذنوب ، فأنشأت هذه العقيدة - بطبيعة الحال - في نفوس الملائكة في العالم المتمدن المعور الذين اعتنقوا المسيحية ، سوء ظن بنفسهم و يأساً عن مستقبلهم ، و عن الرحمة الألية .

هناك أعلن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بكل قوة و صراحة ، أن فطرة الإنسان هي كاللوح الصافى ، الذى لم يكتب عليه بعد ، و يمكن أن ينقش فيه أروع نقش ، ويحرر فيه أجمل تحرير ، وإن الإنسان يستهل حياته بنفسه ، ويستحق ، الثواب و العقاب ، و الجنة والنار بعمله ، وهو غير مسؤول عن عمل غيره ، فقد واندلعت في زماننا حرثان عالميتان ذهب ضحيتها ملايين ، و لم يكن ذلك إلا نتيجة ذكر القرآن في مواضع كثيرة ، أن الإنسان مسؤول عن عمله خسب ، و إنه مثال و مشكور على سعيه : « ألا تر وازرة وزر أخرى ، و أن ليس للإنسان إلا ما سعى ، و أن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى (١) » .

هذا الإعلان أعاد إلى الإنسان ثقته المفقودة بفطنته و موهبه الطبيعية ، و انطلق إلى الأمام بعزم قوى ، و حاس زائد ، و عاطفة جياشة ليصنع مصيره و مصير الإنسانية ، و يجرب حظه وقدرته في تلك الامكانيات الحائلة ، و الفرض الغالية . إن مهدأ - صلى الله عليه وآله وسلم - قرر أن المعاصي والذنوب ، و الأخطاء

ترى ما كان عليه وضع العالم ، و حالاته الاجتماعية والسياسية ، قبل أن ينهض النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بهذه الدعوة ، دعوة الوحدة الإنسانية ، والكرامة الإنسانية ، و يجاهد في سبيلها أبلغ جهاد .

لقد كان ثمن شهوة فرد واحد ، وهو شخص واحد ، قبل بعثته - عليه السلام - أكبر ، و أغلى من أرواح الآلاف و مئات الآلاف من البشر ، ينهض ملك واحد ، و امبراطور واحد ، فيكتسح البلاد ، و يستعبد العباد ، و يضرب الرقاب و يهلك الحرش و النسل ، و يأتي على الأخضر و اليابس لتحقيق مأرب حقير في نفسه ، ويزحف الاسكندر حتى يصل إلى الهند ، ويدمر في طريقه حضارات ومدنیات ، و ينهض مسرور و يقتنص الفئران البشرية ، كما يقتنص أحدهنا حيوانات الغابة ، واندلعت في زماننا حرثان عالميتان ذهب ضحيتها ملايين ، و لم يكن ذلك إلا نتيجة صلب قوى ، وأنانة فردية ، وشهوة الحكم ، و السيطرة على الأسواق التجارية .

و الثقة و الاعتزاز في نفس الإنسان :  
المأثرة الرابعة أن أكثر أفراد النوع الإنساني كانوا مصابين بالآلام عن رحمة الله ، و بسوء الظن بالفطرة الإنسانية السليمة ، و كان في إيجاد هذا الجو الخاص ، و الحالة العقلية الخاصة دور كبير لبعض الديانات الشرقية القديمة ، و المسيحية المحرفة

(١) رواه أبو داود .

(١) سورة التجمّع - ٣٨ - ٤٠ .

والزلات فترة عابرة . زائلة ، في حياة الانسان ، يقع فيها الانسان بجهله وغروره ، وقصر نظره حيناً ، و باعوام الشيطان و أغراء النفس بعض الأحيان ، وأن الاعتراف بالذنب ، والندامة أصل من أصول فطرته ، وجوهر انسانيه ، وأن الابتهاج إلى الله ، والتضرع إليه ، والعزم الأكيد على عدم العودة إلى الذنب ، دليل على شرف الانسان ، وأصالته معدنه ، وهو ميراث آدم عليه السلام .

إن مهداً - صلى الله عليه وآله وسلم - فتح أمم المذنبين الخطاين ، الغارقين في حماة المعصية و الرذيلة إلى آذانهم ، ببابا واسعاً للتوبة ، و دعا إليها الناس دعوة عامة ، و شرح فضل التوبة شرحاً وافياً ، و إفاض فيه إفاضة نستطيع بها القول بأنه أحيا هذا الركن الخاص العظيم من الدين و لذلك سمي « بنبي التوبة » من بين أسمائه الجليلة الأخرى ، أنه ما دعا إلى التوبة كوسيلة اضطرارية يتدارك بها الإنسان ما فاته خسب ، بل إنه رفع من شأنها حتى صارت من أفضل العبادات ، والقربات عاد الله ، و صارت طريقة سهلة للوصول - في أقرب وقت - إلى أقصى درجات القرب و الولاية ، يعطى عليها النساك و الزهاد ، و الأبراء و الأطهار من عباد الله .

إن القرآن شرح فضل التوبة وسعتها ، ونقاء الإنسان من أكبر ذنب ، وأعظم معصية ، بتصورها الإنسان ، و ذلك بأسلوب جميل يستمروى القلوب ، و دعا العصاة والمذنبين ، و صرعنى النفس والشيطان إلى اللجوء إلى الله سبحانه ، و الفرار إليه ، والتقيؤ بظلل رحمته ، و الترامي في أحضان رأفته و عطفه و صور بمحار رحمته ، الراخمة ، الواسعة الأرجاء ، المحيط بالأنفس و الآفاق ، تصويراً رائعاً جيلاً ، شافقاً مثيراً ، يبدو منه أن الله سبحانه و تعالى ليس حليماً رحيمًا ، وجوداً كريماً

حسب ، بل إنه - إذا صح هذا العبير - يحب التواين ، و يشاق إليهم ، و يشكرون عليهم البليغ ، و يقدره كل التقدير ، اقرأ الآيات التالية ، و تذوق أسلوب هذا اللطف و العطف ، و جو الود الذي يغشى هذه الآيات :

• قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تنتظروا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم (١) .

و أكثر من ذلك و أروع ما نجد في الآية التالية حيث ذكر الله سبحانه جماعات مختلفة من عباده الصالحين ، فاستهل هذه القافية المشرفة النورانية بالتاليه ، إنها آية من سورة « التوبه » :

« التائبون العابدون الحامدون ، الساجدون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، والحافظون لحدود الله ، و بشير المؤمنين (٢) .

هذا النكريم و تبرئه العبد التائب من ذنبه ، وإظهار الثقة به تجلّى واضحًا حين أعلان القرآن قبول توبه ثلاثة من أصحاب النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - الذين تختلفوا عن غزوة تبوك (٣) من غير عذر صحيح مقبول ، و بقوافى المدينة ، فبدأ القرآن بذكر النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - و المهاجرين و الأنصار ، الذين لم يختلفوا عن هذه الغزوة ، ثم ثنى بهؤلاء الثلاثة الذين خلفوا ، حتى لا يشعر بهؤلاء عباد الله .

إن القرآن شرح فضل التوبة وسعتها ، ونقاء الإنسان من أكبر ذنب ، وأعظم معصية ، بتصورها الإنسان ، و ذلك بأسلوب جميل يستمروى القلوب ، و دعا العصاة

(١) سورة الزمر ٥٣ . (٢) سورة التوبه ١١٢ .

(٣) إقرأ لتفصيل كتب السيرة ، و التفسير ، و الحديث : « غزوة تبوك » وقد مررت القصة في هذا الكتاب في موضعها .

و لا مكان للعار .

هل هنا مثال أروع وأجل ، و أدق وأنعم ، وأحلى وأزهى لقبول التوبة ،  
و تكريم التائب ، و مسح غاشية الكابة عنه باطف وود ، و حب وحنوف تاريخ  
الأديان و الأخلاق ، و التربية و الاصلاح ، من هذا المثال ؟ .

اقرأ من الآيات التالية :

« لقد تاب الله على النبي و المهاجرين و الأنصار ، الذين اتبعوه في ساعة  
العسرة من بعد ما كاد يزيغ نلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إله بهم رؤوف رحيم ،  
وعلى ثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحب وضاقت عليهم  
أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إلهه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ، إن الله هو  
التواب الرحيم (١) »

ثم أعلن أيضاً كبداً عام أن رحمة الله تسع كل شيء ، وتسبق غضبه وجلاله ،  
يقول القرآن : « و رحمتي وسعت كل شيء (٢) » ، و جاء في حديث قدسي :  
« و رحمتي سبقت غضبي » ، أنه جعل اليأس مرادفاً للكفر و الجهل و الضلال ،  
و بين ذلك على لسان يعقوب عليه السلام : « إنه لا يأس من روح الله إلا  
القوم الكافرون (٣) » ، و ذكر في موضع آخر قول إبراهيم - عليه السلام - فقال  
« و من يقتطع من رحمة ربها إلا الضالون (٤) » .

و هكذا أسف النبي - عليه السلام - بهذه الدعوة المفتوحة العامة إلى التوبة وبيان  
فضائلها ، وسعتها وشمولها ، الإنسانية المذعورة الخائفة التي كانت تئن تحت وطأة

[ البقية على ص ٥٠ ]

(١) سورة التوبة ١١٧ - ١١٨ . (٢) سورة الأعراف ١٥٦ .

(٣) سورة يوسف ٨٧ . (٤) سورة الحجر ٥٦ .

# الدّعوة الإسلاميّة

ليس الإيمان قولًا بغير عمل و عقيدة بغير كفاح ، و اعتقادًا من غير تصديق و دعوى من غير يدنه بل إن من خصائص الإيمان أن يتعرض صاحبه لكل فتنة و بلا في سبيله ، و يتحمل كل مخفة و جهد في تحقيق مدلولاته و معانيه . و هنالك يتحقق الإيمان الخالص ، و تبرز شخصية المؤمن خالصة نقية من جميع الشوائب المادية و العلاقة الفانية .

هكذا كانت حقيقة الإيمان منذ وجوده ، و كان واقع المؤمنين في كل عصر من عصورهم ، إذ لم يتركهم الله سبحانه بمجرد إعلان الإيمان و دعوى اليقين بل لكي يختبر قوته إيمانهم و إخلاصهم و يمتحن مدى ما في قلوبهم من الثقة بالله و التوكل عليه تناولهم بالامتحان ، و أخذهم بالفتنة ، فثبتت من ثبت في الامتحان صابرًا محتسباً يرجو رحمة ربها و يخشى عذابها ، ويسأله تفريح كربه و إزالة همومه و كشف بلائه ، من غير أن ينال ذلك من إيمانه حبة خردل أو يمس من قوته إخلاصه و عقيدته شيئاً ، أما من ظن أن الإيمان مجرد كلمة تقال باللسان ، ولا يتطلب أى جهاد أو كفاح و عناء و تضحيه ، فقد باه بالفشل و الحرمان ، و عاد إلى الضلال ، هروباً من الشدة و الفتنة و إخلاداً إلى الدعة العاجلة و الراحة الزائلة ، و اللذة الفانية ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً و هم لا يفتنون و لقد مسلم أن يصدق به ، من الله و ملائكته و كتبه و رسالته و اليوم الآخر وبالقدر خيره و شره ، أو الإيمان الذي يحصل للأقربين من عباد الله كالسكنية والوجودانية . فالإيمان بجميع هذه المعانى ليس كلمة تتردد على اللسان ، و لكنه حقيقة ذات مغزى عريق تتمكن من شغاف القلب و تخالط بشاشته ، و هو عقيدة ذات تكاليف و تبعات و مسؤوليات لا يتخلى عنها المؤمن للمحة واحدة ، و لكنه يسعى في أدانها و يكض إلى إنجازها ، في جميع أحواله و أعماله وفي غدواته و روحاته .

## دور الإيمان في حياة المسلم

و موقف المسلمين منه اليوم



سعيد الأعظمي الندوى

الحمد لله رب العالمين و الصلاة والسلام على سيد الأنبياء وأشرف المرسلين و على آله و أصحابه أجمعين .

إنني لا أريد أن أتناول في هذا المقال المتواضع شرحاً لمعنى الإيمان و أنواعه و أبحث بحثاً طالما دار حول كلمة الإيمان و معناها ، أو أنكلم عن زيادة الإيمان و نقصه كما هو الشأن في بحوث المحدثين و المتكلمين ، و لكنني أتحدث بإيجاز عن دور الإيمان في بناء الحياة و المجتمع الأفضل و موقف المسلمين منه اليوم .

إن الإيمان سواء كان بما يتعلق بأحكام الدنيا من عصمة الدماء و الأموال عن طريق الطاعة و الانقياد ، أو كان بما يدور عليه أحكام الآخرة من النجاة و الفوز بالدرجات ، أو كان ما يتعلق بتصديق القلب و الجنان بما يجب على كل مسلم أن يصدق به ، من الله و ملائكته و كتبه و رسالته و اليوم الآخر وبالقدر خيره و شره ، أو الإيمان الذي يحصل للأقربين من عباد الله كالسكنية والوجودانية .

فالإيمان بجميع هذه المعانى ليس كلمة تتردد على اللسان ، و لكنه حقيقة ذات مغزى عريق تتمكن من شغاف القلب و تخالط بشاشته ، و هو عقيدة ذات تكاليف و تبعات و مسؤوليات لا يتخلى عنها المؤمن للمحة واحدة ، و لكنه يسعى في أدانها و يكض إلى إنجازها ، في جميع أحواله و أعماله وفي غدواته و روحاته .

## ★ البعث الاسلامي ★

### دور الایمان في حياة المسلم

إنه هو الایمان الذي خلع على البشرية الشفقة لباس السعادة والهناء، وهو الذي منح الانسان حياة محترمة يوم كان ذليلاً مهاناً، ورفعه من حضيض الشهوات والأهواء إلى أوج الكمال الانساني، وأفاض عليه من نعم الله وطيبات الحياة ما لا حصر له.

ثم هو الایمان الذي قلب الموازين الحارة وبدلها بالموازين العادلة، والقيم الزائفة بالقيم الخلقية العليا، وهو الذي غير المفاهيم الخاطئة التي كانت تسود الحياة بمفاهيم صحيحة تقود إلى المنج الأصيل، منهج الله الذي لا يعدله شئ من المنهاج المزوره من وضع البشر.

ثم هو الایمان الذي استصغرنا شأنه اليوم نحن المسلمين، وأهملنا أمره في الأخير فاسترعي كل شئ اهتمامنا، واستلفت كل أمر حقير انتباها، أما الایمان فلم يكن له نصيب من العناية ولو قليلاً، وإنما ظل مدحوراً مخذولاً وطريداً في مجتمع المسلمين وبيوت المسلمين، حتى وفي مساجدهم، ومدارسهم ومرآكزهم. أليس هذا وضع الایمان اليوم؟

إلى ، إن وضعه أسوأ وأبغى مما نصور ونصور ، وقد انسل هذا الجوهر الغالي من القلوب و استقر مكانه حصاة لا قيمة لها ولا شأن ، اللهم إلا بعض القلوب التي لا تزال على عهدها باجلال شأن الایمان و إحلاله محل الروح واللحم و الدم ، وقد تجمع هذه القلوب فتشكل طائفة من الناس و مجموعة من المؤمنين « نورهم يسعى بين أيديهم و بأيمانهم ، يقولون ربنا أعلم لنا نورنا و أغفر لنا إنك على كل شئ قادر » .

ولكن هذه الفئة المؤمنة لا تعدو أنامل اليد في كل بلد ، أما الكثرة الكارهة فهي من ولدوا في بيوت المسلمين أو عاشوا في بلد يسمى بلد المسلمين ،

## ★ البعث الاسلامي ★

صفر ١٣٩٨ هـ

ثم لا شيء بعده سوى الاتجاه إلى كل ما يخالف الایمان و يضاده ، و الانحراف إلى اتباع الأمم الشفقة الجاهلة و عاداتها و تقاليدها و الانشغال بكل ما يلهي عن الغاية الحقيقة ، و المهدى الأصيل ، و يهوى بصاحبه إلى مهوى سحق من الشفوة و اللعنة و العار .

من العجيب أن الایمان الذى أدى إلى الانسان بغير عظيم ، و أنعم عليه بنعمة كبيرة صادف من سوء المعاملة و قسوة الخلق أكثر من كل شيء ، و نال منه من الجفاه و الجحود ما لم ينله أى شيء غيره .

إنها هي قضية الایمان التي ظلت مهملة في كل مكان ، فلم تجد لها من الانصار من يحمونها و لا من الأعوان من يدافعون عنها ، و إذا وجدت من يدافع عنها لم يتحمله الزمان فشرده أو شنقه ، أو تربص به الدوائر و تربك الفرصة السانحة لأخذه و الفتك به .

و نستطيع أن نوزع المسلمين إلى ثلاث طوائف في هذه القضية :

١ - طائفة توارثت الایمان جيلاً بعد جيل ، و صادفت مجتمع المسلمين فأمنت بالعقائد الأساسية و رأت أن الاسلام هو حاجة الحياة الإنسانية التي لا تستغني عنها في أى حال ، وهي مخافطة بغير ارض الدين و عاملة بتعاليه ، كل في نطاقه الشخصي ، غير أن هذه الطبقة من المسلمين لا تؤمن بسيطرة الاسلام على الحياة العامة ، ولا يعتقد أنه يمكن من التغلب على الأوضاع الحاضرة ويتبوأ منصب القيادة و يأخذ زمام الأمر بيده في هذا الخضم الهائل إذا ظهر في شكله الحقيقي . إن رجال هذه الطائفة مسلمون مع الظروف والأحوال ، مستسلمون للأوضاع لا يتعرضون لها بسوء أو إنكار ، إلا من قلوبهم و ذلك أضعف درجة الكارثة فهي من ولدوا في بيوت المسلمين أو عاشوا في بلد يسمى بلد المسلمين ، من الایمان .

٢ - و هناك طائفة من الناس ينتهيون إلى الإسلام بالاسم وحده ، و لكنهم نازرون على الإسلام و أهله ، نازرون على الفيم الدينية و المثل العليا ، و يعتقدون أن عصر الذرة و الصاروخ لا يستطيع أن يحتمل الدين و لو في أصغر شكله ، وأضعف لونه ، إنهم يصرخون بأن الدين والإيمان قد ولى عصرهما ومضي دورهما بدون رجعة ، فلا مكان في خريطة القلوب لشئ اسمه الإيمان و لا موضع للدين إلا أركان المساجد ، و الروايات ، و أما أن يبرز الدين و أهله إلى مجالات الحياة الأخرى ، إلى المحاكم و عروش القيادة و الوزارة و الزعامة ، و أما أن يتعرض الدين للسياسة و الاقتصاد و يمس الأوضاع الإنسانية العامة فلا نسمح بذلك في أى حال ، لأنه لم يخلق لذلك ، لم يخلق لقيادة العالم و الكون و الإنسان .

إن هذه الطائفة من المسلمين توجد في كل مكان يسكنه المسلمون ، سواء في العالم الإسلامي أو غيره ، و هي تعيش في أغاب الأحوال عالة على الحكومات والدول الكبرى ، التي تستغلها قبل كل شئ لكسر قوة الإيمان في القلوب وإخراجها من المجتمع الإسلامي ، و ذلك لأنها تعلم جيداً أن هذه القوة هي وحدها أكبر عائق في سهل نفوذها و استعمارها على الشعوب و الأمم ، و هي تعلم جيداً أنها ما دامت توجد في مجتمع المسلمين و قلوبهم ، لا تنجح أى حيلة في افتراس الأمم واغتصاب بلاد المسلمين .

قامت هذه الطائفة تحارب الإسلام و تعادي الدين ، و تقاوم الإيمان بكل ما أوتيت من قوة أو وسيلة أو مناصب من قبل أصحابها ، و اتبعت سياسة التدرج والتعليل في فصل المسلمين من رأيهم الضخم و نتيجة الإسلام عن منصب القيادة لتولدة الأمم الجاهلية المريضة و ينطفئ نور الإيمان من قلوب أهله رويداً رويداً ، و تنشر الجاهلية و العلانية ظلامها الموبوءة على المجتمعات و مناصب القيادة أولاً ثم

تفتش على القلوب و الأفكار و يرقد المسلمين عن دينهم بدون أن يشعروا . إن هذه الطائفة لاتعلن خروجها عن الإسلام ولكنها في الحقيقة من كبار أعداء الإسلام و المغاربين له ، وهي لا تفعل كل ذلك ، ولا ترضي بالردة و خدمة ساداتها إلا طمعاً في جاه تبؤه أو حرصاً على منصب تشغله ، وهي لاتهمها خدمة الوطن و وفيه الشعب كالتزعيم و تحالف ، وإنما الذي يهمها أولاً و آخرآ هو تحكيد عرش الزعامة ، و تطويل فترة القيادة ، و هي لاشك « لذة كبيرة » ، ذاقت طعمها فلا ترید أن تتنحى عنها مهما كرهها الناس و مقتها ، و مهما لعنها الله والناس و الملائكة .

إنها طبقة المنافقين الذين يضمرون الكفر و يبدون الإسلام ، و قد وجدت في كل زمان و مكان ، و هي التي جرت على الأمة بلاء و شقاء على امتداد التاريخ ، و هي المسئول الوحيد عن كل ما أصاب المسلمين البرم أو يصيبهم من ذلة و عار ، و هزيمة و صغار ، لا في ساحة المعارك وحدها و إنما في جميع مجالات الحياة و معركتها ، إن هؤلاء المنافقين لخيث طويتهم ، و سوء نيتهم يسيطرؤن على المراكز الحساسة في حياة الأمة ففسدون و لا يصلحون ، و يذيفون الناس أنواعاً من النكبات و الآلام و ضروباً من الشفوة و الهوان ، و ما أربع تصوير القرآن لموقف هؤلاء المنافقين من الإسلام و الإيمان ، « إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك رسول الله ، والله يعلم إنك رسوله ، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون . اتخذوا إيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله ، إنهم ساء ما كانوا يعملون ، ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ، و إذا رأيهم تعجبك أجراؤهم و إن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة . يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو ، فاحذرهم و تشر الجاهلية و العلانية ظلامها الموبوءة على المجتمعات و مناصب القيادة أولاً ثم قاتلهم الله ألم يُؤفكون » .

وقد امتدت هذه الطائفة وتطاولت على الاسلام وقيمه جهاراً ، وتحدىت الامان و المؤمنين في كل بلد ، و بعثت قوى الشر و الطغيان على الاضرار بهم و كسر شوكه الاسلام ، حتى عم الشر في جميع أنحاء العالم ، وأخذ المسلمين وقتلك من كل جانب ، وذهبت ريحهم و خارت قوتهم ، وأصبحوا العوبة يد الملحدين المنافقين ، و الاباحيين الكافرين .

٣ - وبازاء ذلك فتنة مؤمنة بالله ، خاضعة لقيم الاسلام عاملة بمبدأ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و هي التي ذاقت حلاوة الامان ، و عرفت قوته و فضله على البشرية جموعاً فلم تبهر المادية عليها ، ولم تروعها انتصارات الانسان في العالم المادي ، ولم توثر عليها نصبة الحضارة و تقدمها أى تأثير ، و إنما رأت إلى كل ذلك - مقابل الامان و قوته - كما يرى الكبار حركات الأطفال وقفزاتهم ، فازدادت إيماناً على إيمان ، ونهضت تدعى الواقفين على شفا جرف هار إلى رحاب الاسلام و عطشه و حنانه .

إن رجال هذه الطائفة المؤمنة قاموا بواجب الدعوة إلى الله فوقوا في وجه كل منكر سواه باليد أو اللسان أو بالقلب ، و لم يفتوا يدعون الناس على اختلاف طبقاتهم إلى دين الله وحاربوا المنافقين والمفسدين بكل ما أوتوا من قوة ، ليصونوا أرض الله من ظلم الظالمين و عبث العابثين ، و لم يعبأوا بما صب عليهم الأعداء من عذاب و اضطهاد ، و ظلم و جور ، إنما مرروا بكل محن ضاحكين مستبشرين ، و عانوا كل بلاء بطلاقه وجهه و بشاشة نفس ، وقاوموا كل تعذيب بمحنة من الصبر و الاحتساب .

إنها قوة الامان التي ثبتت في كل مرحلة كالجبل الراسى ، و هي التي أقضت مضجع الاخداد و الاباحية و الانهزامية و النفاق ، و شوشت قلوب المعدين على

كرامة الانسانية فضربوها بالحديد و النار و عذبوها بأشد أنواع التعذيب ، ولكنها احتملت كل ذلك ، لأنها تعد الموت في سبيل الله من أسمى الأماني، وتعتبر الشهادة خلوداً و امتداداً للحياة ، وريا لغرس الامان و شقاباً لشجر العقيدة و الحنان .

إن هذه الفتنة المؤمنة أعيت كل حيلة في تدميرها . وحطمت كل خطة في إفانها إذ لم يصمد أمام هذه القوة الامانية شئ من آلات التعذيب والتدمير وأسلحة الفتك و القتل ، و ذلك ذو شأن الامان إذا خاططشاشة القلوب ، و عجن مع اللحم و الدم .

هذه هي قصة الامان الراهنة ، قصتها مع المؤمنين و المنافقين ، و قصتها مع المادية العميم والروحانية الغراء ، وقصتها مع الفكرة الطائشة المدامة ، والفكرة الخادفة البناء ، و قصتها مع الحق والباطل ، والمسلون كلهم أمام هذه القصة واقفون متشارلين على إيمان ، ونهضت تدعى الواقفين على شفا جرف هار إلى رحاب الاسلام و عطشه و حنانه .

و الصراع بين هاتين الفتنين قديم و لكنه اشتد اليوم و يبدو أنه آخر هذا الصراع و متىهى هذا العراق ، و لابد أن يغلب الحق و يزهق الباطل في هذه المعركة إذا أقبل المسلمين على الدين الصحيح و أدركوا لذة الامان وحقيقة وتربيتهم طبقاً لهم إلى دين الله وحاربوا المنافقين والمفسدين كل ما أوتوا من قوة ، فما يتحقق لهم النجاح على أخلاق الاسلام ، فلا حياة للمسلمين بغير هذا الاسلام ، و لا يتحقق لهم النجاح إلا بالعودة إليه و إقامة أمره و تحكيمه في كل شأن من شؤونهم .

إذن لا بد من تضافر الجهد لا عادة شأن الامان الصحيح و قوة العقيدة الثابتة إلى القلوب ، و ذلك بتركيز العناية على برامج التربية التي تكفل إقناع الناس بالعقائد الدينية و تثبت دعائم التوحيد النقي ، و العبودية الخالصة في المجتمع ، ولا يتم هذا إلا في ظل التربية الحكيمية و تمثيل الحياة الاسلامية في واقع المربيين و الدعاة و الأساتذة المخلصين .

و على هذه البرية الحكمة يتوقف وجود جبل مؤمن ، قوى الإيمان بالله و رسوله و اليوم الآخر ، و قوى الثقة بالشريعة الإسلامية ، قوى الاعتقاد بأن هذا الدين هو المفتاح الوحيد للسعادة الدائمة ، و هو المقياس الوحيد ، للخير والشر و هو الميزان الوحيد للربح و الخسارة . وبوجود هذا الجيل المؤمن الواعي ، الجيل

المثال المزن ، ينشأ المجتمع الأفضل الذي يتميز بالفهم الصحيح للدين والدنيا ، وبالطبع العادل بين العلم و الإيمان ، و بين السيف و المصحف ، و بين الحديد و الحرير ، فيكون في العقائد والتشريع أصلب من الحديد ، وفي العلوم والفروع أنعم من الحرير . إن هذا العصر الذي نعيش فيه إنما يتسم بشئ كثير من الجدية والاهتمام بدراسة الحقائق و العلم و الاعتناء الزايد بالبحث و التقبّب في خفايا الكون ، إنه عصر الانتصارات العلمية و الابداعات الصناعية و عصر الفلسفات و النظريات فلا يقبل كل ما نعرض عليه من دعوة ، أو تقدم إليه بمنهج و تشريع ، إلا أن يدرس ذلك دراسة عميقة . و أن يقتضي به في ضوء العلم و التحقيق .

و من هنا يتحتم علينا أن نفكّر في وضع أسلوب مائن للدعوة يتسم باشرافه الدینیاجة و وضوح العبارة ، و سهولة الصياغة ، و سلاسة المعانى ، يخاطب العقل و يمسح القلب و ينور الفكر . و كل أسلوب له هذه الصفات لا بد من أن يؤثر في القلب و يحرك الشعور و يبعث على التفكير ، و كل أسلوب له هذه الصفات يجب أن يكون أسلوب الدعاة و المربيين ، و أسلوب العلماء و المفكرين .

و لتوجيه الدعوة و إعداد الدعاة سنحتاج إلى وضع مخطط تربوي و عملى في النقاط التالية :

١ - تخصيص كرسى لتعليم الدعوة إلى الله و تربية الدعاة و إعدادهم في كل جامعة

من جامعات العالم الإسلامي ، مع تعيين أساتذة متخصصين مثاليين لهم خبرة كافية و تجربة عملية للعمل في حقل الدعوة الإسلامية مع الرعاية التامة في جميع المواد الدراسية ببارز ناحية الدعوة و الاهتمام بروح الغاية الأصلية التي يتواهها المؤمن و راه حياته في هذه الدنيا ، ألا و هي إخلاص العمل لله .

٢ - بعث روح الجدية و الكفاح في المجتمع الإسلامي و إعادة الثقة إلى النفس بعقيدة الآخرة و الوقوف فيها أمام رب العالمين للحساب العام الذي لا ينجو منه أحد منها كان ، و ذلك بتذكير موقف المؤمن من الدنيا و الآخرة ، و الحث على التمسك بالتعفف و التورع في الحياة الشخصية بحيث إن المؤمن مسئول عن تربية هذه الناحية في حياته وذلك هو مفتاح العزة و النجاح في كل مكان ، وبه تفتح الأفاق المقدمة و تحل المشاكل المعطلة ، و به تحصل العزة و الغلة و السعادة في الدنيا ، و الفوز بالجنة و النعم في الآخرة .

٣ - استخدام أحدث وسائل الاعلام و النشر بالنظر إلى وضع العالم المعاصر ، و إعداد ميل من الكتب و المؤلفات و الوسائل التي لا تخلو عن خلاة المظهر و الخبر ، و وضع برامج عملية للتوجيه من عقد اجتماعات على الصعيد العالمي و تتضمن محاضرات وندوات ، و دروساً ومواعظ ، و تحبيب الدعوة إلى النفوس بحيث تتغلغل في الأحسان وتسرى مع اللحم و الدم ، و تقلق على الأوضاع الفاسدة و تتحث على بذل جهودات لإنجاد الوضع الصالح و إزالة الفساد والمنكر ، و تغليب عبادة الله في الأرض على كل عبادة .

و لكن ذلك كله لا يتم إلا بالأخلاق الكامل و التفاني في سبيل الغاية و الاتصاف التام بجميع صفات الداعية الإسلامي من الفهم الدقيق الصحيح للإسلام و أساليب الدعوة إليه في مختلف الشعوب و الأمم و مختلف الأزمات و الأزمات

و التغافل الكامل ، و النزاهة الس كبيرة ، و التورع الشديد والالتزام التام في الدعوة و الفقه والتوجيه ، مع مراعاة الأجواء والملابس و الظروف والأوضاع ، مع إبراز نواحي الاعيان و العمل في الحياة و تقديم نموذج عمل مثالى للحياة الإسلامية الخاصة .

إن الاعيان يتظر أن يؤدي اليوم دوره و يترقب أن يجد طريقا نحو انتفاضة جديدة ، فتى سيسمح له بالعودة إلى قلوبنا و بوتنا ، و من سيرجدة الطريق إلى مجتمعاتنا و دولنا حتى تقر العيون ببرؤية الاسلام منتجا كاملا للحياة يأوى إلى ظلمه هذا العالم الشقى ، الثالث في الظلام ، الخائز في دروب الشكوك و الاوهام ، وتلتجمىء إليه الانسانية البائسة ، الباحثة عن الأمان والطمأنينة ، و عن المهدوء والاستقرار .  
« يا أئمها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مرريم للحواريين من أنصارى إلى الله ، قال الحواريون نحن أنصار الله ، فآمنت طائفة من بنى إسرائيل و كفرت طائفة فأيدنَا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين »  
و صدق الله العظيم

## الحرب و الصلح في الاسلام

الشيخ عبد العزيز المسند  
وزارة التعليم العالي للملك العربية السعودية

يفضل الاسلام دائمًا السلام ، و يميل إلى الصلح ما دام عكنا ، يدعوه إليه ، و يقبله حين التفاوض ، ولو لم تكن الشروط و البنود كلها في صف المسلمين . و ذلك لما في الحرب من ويلات و ما تخلفه من آثار مؤلمة ، و لكن إذا دعا الداعي فالمسلدون أسود ، أركان حرب ، صبر في اللقام ، صدق في العمل ، يرون أن القتال جهاد في سبيل الله ، نتيجة لهم ، فاما النصر و إما الشهادة ، .. عند ذلك يقدمون على الحرب و لسان حالمهم يقول :

إذا لم يكن إلا الأسنة مركبا فما حيلة المضطر إلا ركوبها

و قد حفل التاريخ بالأمثلة و الشواهد على ذلك و « صلح الحديبية » حدث مهم في تلك الفترة من تاريخ المسلمين ، و سنستعرض جوانب منه في هذا البحث

### الوضع العام :

المسلدون الذين يحترمون المشاعر المقدسة ، و يقدرونها حق قدرها و يبدون الله عندها بعيدون عن « مكة » و محرومون من الاقتراب منها و هم في دار عاصمة الجديدة « المدينة المنورة » .. و قريش في « مكة » يدعون أئمهم حاتما ، و سادات المقدسات ، و هم لا يعرفون التعبد حوالها بل يعصون الله عندها ، و يصدون عنها

أحق الناس بها ..

★ البعث الإسلامي ★

★ الحرب والصلاح في الإسلام ★

و المسلمين يتظرون الفرج ويستبطئون الأذن لهم بالاعمار إلى البيت الحرام و الطواف حول المسجدة ، ولكن انتظارهم يطول ، و تعلن قريش أن البيت مفتوح لكل أحد فبسارع المسلمين إلى الاستجابة و يقولون : نحن أولى الناس بالبيت فيقررون السفر إلى مكة بقصد العمرة واحترام البيت و رب البيت ، وطبقاً للشروط والترتيبات التي وضعها القرشيون لمن يريد أن يعتمر .

مفاجأة مخزنة :

من الحرم و صار إذا حضر وقت الصلاة يأتي هو وأصحابه راجلين فيدخلون الحرم و يصلون ثم يعودون إلى منازلهم .

بعد المفاوضات :

عند ما علمت قريش بما فعل محمد . . اختارت رجلاً من عقليّتها هو حبيب بن علقة فبعثته لمقابلة محمد عليه السلام و معرفة ما لديه ، فلما أخبر باسمه رسول الله عليه السلام على ما يمت له حينها لقبه خالد بن الوليد بـ مهاتي فارس مقدمة جيش القرشيين . عند ذلك سارع رسول الله - عليه السلام - لتغيير خط سيره و مال بمن معه ذات الدين ، ثم أمر بالنزول فجمع أصحابه . . فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهل ثم قال :

( أما بعد : فإنه بلغني أن قريشاً قد جمعت جموعها تزيد أن تصدنا عن البيت فأشيروا على بما ترون . . أترون أن نعمد إلى الرأس - يريد أهل مكة - أو نعمد إلى الذين أعندهم فنخالفهم إلى منازلهم فان جلسوا جلسوا موتورين مهزومين و إن طلبونا طلباً مدانينا ضعيفاً فآخرناه الله . . )

فقام أبو بكر و قال : نرى يا رسول الله أن نعمد إلى الرأس فان الله - جل شأنه - ناصرك و إن الله معينك و مظرك .

احترام البيت :

أمر رسول الله - عليه السلام - بالرحيل و توجه إلى البيت و عند ما اقترب

★ البعث الإسلامي ★

صفر ١٢٩٨ ه

من حدود الحرم بركت ناقه فقال الناس : خلات . . يعني حررت و امتنعت .

قال رسول الله - عليه السلام - :

( ما خلات و ما الخلاء بعادتها و لكن جسها حابس الفيل عن مكة . . لا تدعون قريش إلى تعظيم الحرام فيسبقوه إليه . . ! هبوا هاهنا . . )

فتأخر عن حدود الحرم و أخذ ذات الدين حتى نزل في المدينة على مقربة من الحرم و صار إذا حضر وقت الصلاة يأتي هو وأصحابه راجلين فيدخلون الحرم و يصلون ثم يعودون إلى منازلهم . .

بعد المفاوضات :

عند ما علمت قريش بما فعل محمد . . اختارت رجلاً من عقليّتها هو حبيب بن علقة فبعثته لمقابلة محمد عليه السلام و معرفة ما لديه ، فلما أخبر باسمه رسول الله عليه السلام على ما يمت له حينها لقبه خالد بن الوليد بـ مهاتي فارس مقدمة جيش القرشيين . عند ذلك سارع رسول الله - عليه السلام - لتغيير خط سيره و مال بمن معه ذات الدين ، ثم أمر بالنزول فجمع أصحابه . . فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهل ثم قال :

( أما بعد : فإنه بلغني أن قريشاً قد جمعت جموعها تزيد أن تصدنا عن البيت فأشيروا على بما ترون . . أترون أن نعمد إلى الرأس - يريد أهل مكة -

أو نعمد إلى الذين أعندهم فنخالفهم إلى منازلهم فان جلسوا جلسوا موتورين مهزومين و إن طلبونا طلباً مدانينا ضعيفاً فآخرناه الله . . )

فقام أبو بكر و قال : نرى يا رسول الله أن نعمد إلى الرأس فان الله - جل

شأنه - ناصرك و إن الله معينك و مظرك .

أحترام البيت :

أمر رسول الله - عليه السلام - بالرحيل و توجه إلى البيت و عند ما اقترب

لبسا جلود النمور عند العود المطافيل يقسمون لا تعرض لهم خطأ إلا عرضوا لك أمر منها

فقال رسول الله - ﷺ : « إنما نأت لقتال . و لكن أردنا أن نقضى عمرتنا و نحرهدينا فمل لك أن تأتي قومك فإنهم أهلي و إن الحرب قد أخافتهم ، و إنه لا خير لهم أن تأكل الحرب منهم إلا ما قد أكلت فيجعلون بيبي و بينهم مدة يزيد فيها نسلهم و يومن فيها شرم و يخلوا بيبي و بين البيوت فنقضى عمرتنا و نحر هدينا و يخلوا بيبي و بين الناس فان أصحابي بذلك الذي يريدون و إن أظهرني الله عليهم اختاروا لأنفسهم ، إما قاتلوا معدين وإما دخلوا في السلم وافرين فاني و الله لفانلن على هذا الأمر الأحمر و الأسود حتى يمضي أمر الله أو تنفرد سالفتي . . . رقبي . . . ، فلما سمع عروة مقاتله رجع إلى قريش فقال :

« تعلم أنكم أخوالى و عشيرى و أحب الناس إلى ، و لقد استفردت لكم الناس في المجتمع فلما لم ينصروا أبكم بأهلى حتى سكنت بين أظهركم إرادة أن أواسيكم ، و لقد تعلم أن ما أحب الحياة بعدكم و تعلم أن قد رأيت العظام ، و قدمت على الملك ، فأقسم بالله أن ما رأيت ملكا و لا عظيماً أعظم في أصحابه من محمد . إن هم رجل يتكلم حتى يستأنفه في الكلام فان أذن له تكلم ، و إن لم يأذن له سكت ثم انه ليتوضاً فيبتدرؤن و ضووه يصبوه على رفوسهم يتذذونه حناناً . فلما سمعوا مقالة عروة داخلهم الرعب و فكروا في الأمر ، و تراجعوا . و تشاوروا واجتمعوا الرجل و الرجلين و الجماعة و الرهط .

لقد شكوا في خبر الرسول الأول و لكن أن لهم أن يشكوا في خبر عروة الرجل الخالص لهم العاقل المجرب . إذا في الأمر جديد ، و المسألة تستحق التفكير

و قد يتغير الرأي و تتحول القوة إلى ضعف . . . والعنجية إلى تودد . . . والكبيرة

إلى هوان . . .

### ساعة الصفر :

أما في الجانب الآخر و في جيش المسلمين فانهم بعد سماعهم لحديث عروة ، و موقفه المتصلب ، وإدلاله بقوة قريش و تأكيده لتصفيتهم بدأو يتآكدون أن قريشاً متربصهم و ستبدأ القتال . . . لكن قائدتهم رسول الله - ﷺ - لم يأذن لهم بالقتال و لا باقتحام الحرم و لا بالمجاهدة .

و حتى يبلغ الأمر غايته يأتي خبر طائر من مكة بنى . بأن عثمان بن عفان قد قتل ، و قد غدر به أهل مكة . - و كان بعثه رسول الله - ﷺ - ليطمئن المستضعفين من المسلمين المتخلفين بمكة و يتفقد أحواهم و يزور أهلاً له هناك . عند ذلك ثارت ثائرة المسلمين و اجتمعوا حول قائدتهم يطلبون منه الاذن لهم بالقتال ، و يؤكدون له خبر الغدر بعثمان ، و يؤيد ذلك أن قريشاً بعثت بخمسين فارساً يطوفون بجيش المسلمين و يعتدون على من شذ منهم . . . فوافق رسول الله - ﷺ - على رد الاعتداء واستخلاص عثمان والأخذ به إن يكن قتل . . . وهناك في الحديبة على مقرية من حدود الحرم وقف رسول الله - ﷺ - تحت شجرة يابعه أصحابه على الجهاد حتى الموت . . . فيتقدم الرجل و يتلفظ بالبait و هو يصافح رسول الله و لما انتهت المبايعة بآخر مصافح من الجند وضع رسول الله يده اليسرى على يمني و قال : « هذه عن عثمان . . . لقد كانت القلوب خاصة حقاً و كانت العزيمة صادقة و الرغبة في الاستشهاد جامحة . . . فأنزل الله في ذلك الموقف قرآنآ يتلى على مدى الدهر حيث يقول :

( لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل

صفر ١٣٩٨

ما مختلف إلا في هذا . . . قال رسول الله : « كيف .. ! » قال : لو كنا نعتقد بأنك رسول أصدقائك . ولكن اكتب اسمك و اسم أبيك محمد بن عبد الله . قال : « و هذه حسنة أكتبها . . . » فكتب على العقد وكان من بين الشروط التي تم الاتفاق عليها : « أن يبنتا العيادة مكتوفة ، وأنه لا أغلال ولا أسلال وأنه من أئم من قريش إلى المدينة يرد إلى مكة . . . ومن أئم من المدينة لا يرد إليها . وأن من رغب من القبائل الدخول في شرط الفريقين فله مثل شرطه . . . ثم ختم الكتاب ووقع رسول الله - عليه السلام - عن جانب المسلمين . وسويل بن عمرو عن جانب قريش . تنفيذ العقد يبدأ بفاجأة غريبة :

عندما رفع الموقعيان أيديهما موقعين عقد الصلح بشروطه دخل إلى المكان

أبو جندل بن سهيل بن عمرو ووثقا بالحديد ربطة قريش عندما أسلم و قد أفلت من أيديهم و التجأ إلى المسلمين هاربا فلما رأى المسلمين قالوا : اللهم أبو جندل . . ! فقال رسول الله - عليه السلام - : هو لي . . . وقال أبوه سهيل : لقد لجت القضية بيبي وينك قبل أن يأتيك هذا فهو لي . فانتظروا في الكتاب . . فنظروا فوجدوا الشروط تنص على أنه لسهيل فأمر رسول الله برده إليه . « أخذ أبو جندل ينادي : يا رسول الله . ، يا معاشر المسلمين أتردوني إلى المشركين يفتوني في ديني ؟ ! فقال له رسول الله - عليه السلام - : يا أبو جندل : قد لجت القضية بيننا وبينهم و لا يصلح لنا الغدر ، والله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا . و مخرجا ، فثار أبو جندل تأثراً عظيمًا لما بعلم ما سيلاقاه من التعذيب . فقال رسول الله لوالده . « به لي . . ! » فقال سهيل : لا . . لأنكتب هذا أبداً ، فقال رسول الله : « فكيف نكتب ؟ » قال : أكتب : باسمك اللهم . . ! فقال رسول الله - عليه السلام - و هذه حسنة أكتبوها . . ثم قال : « أكتب : هذا ما تقاضى عليه رسول الله . . . » فقال سهيل : و الله أمض إجارتك .

السكنية عليهم و آثائهم فتحاً قريباً و مغانم كثيرة يأخذونها و كان الله عزيزاً حكماً وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فتعجل لكم هذه و كيف أيدى الناس عنكم ولتكون آية للزمنين و يهدكم صراطاً مستقيماً وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها و كان الله على كل شيء قادرآ ) ١ )

و هكذا تنزل الوحي من الله جزاماً للصدق والاخلاص ، لأنه يعلم أن المؤمنين إنما جاؤوا احتراماً للبيت والحرم و قد تخبو الأئمة ورغبو في السلم لكن أعداءهم اضطربهم للحرب فلما لم يجدوا بدأ منها استعدوا لها استعداداً نفسياً عقيدياً يغلب كل تحيز مادي مما يبلغ من الفتن والإبادة و يمضي الزمن و تبقى هذه الحقيقة حتى اليوم فالناس بحاجة إلى القوة النفسية قبل القوة المادية .

بادر السلم تلوح في الأفق :

في غمار الحماس و في ممعنة الاستعداد للحرب يأتي من مكة خبر يدل على أن عثمان ما زال حياً و أنه موقفه لدى قريش . . فتهدا النفوس قليلاً . . و يزداد الأمل في انفراج الأزمة فيتقدم إلى رسول الله - عليه السلام - جماعة يخبرونه بأن رجلاً من قريش يدعى « سهيل بن عمرو » يستأنف في مقابلة رسول الله بصفته رسول الله ونائبه عليهم . . فيقول رسول الله إذاً سهل الأمر ، اذنوا له . . . فيدخل على رسول الله و معه عرض من قريش يقول طلب من محمد أن يرجع عنا عame هذا ولا يخلص إلى البيت فإذا كان العام القابل قدم إلى العمارة ودخل مكة ليس معه فرس ولا سلاح . . . فقبل رسول الله - عليه السلام - المبدأ ونادى على بن أبي طالب . . و أمره أن يكتب عقد الصلح .

بعد التفاوض على الشروط . . قال لعلى . . أكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ف قال سهيل : لا . . لأنكتب هذا أبداً ، فقال رسول الله : « فكيف نكتب ؟ » قال : أكتب : باسمك اللهم . . ! فقال رسول الله - عليه السلام - و هذه حسنة أكتبوها . . ثم قال : « أكتب : هذا ما تقاضى عليه رسول الله . . . » فقال سهيل : و الله

و هكذا يتميز المسلمون بالوفاء حتى في الساعات الحرجة فلقد تأثر المسلمون كثيراً بهذا الموقف المخرج الذي حصل لبني جندل . . . و المسلمين لا يرصنون الدينية في دينهم . . . ولكن رسول الله يعلم عن الله ما لا يعلمه صحابته و هم في طاعة رسول الله و في متابعته يضربون المثل الأعلى لأنهم يعلمون أنه يصدر عن وحي من السماء . . .

و يقوم وفد قريش حاملاً معه عقداً موقعاً من محمد . و يتفرق من شهد الصالح من المسلمين إلى خيامهم قد شردوا في تفكير عميق و لو لا إيمانهم بمحمد وما جاء به لكان لهم قريش شأن عظيم .  
فهل يصدق عاقل أن قوماً جاؤوا مهلاين مكبرين محربين ساقوا معهم الهدى يصدون عن البيت .. ؟ ! و هل يتصور أن تقبل شروط الأعداء بما فيها من جيف و تحامل .. ؟ !

إن ذلك بتقدير العزيز الحكيم . أ فرغم قسوة شروط الصالح إلا أن النتيجة للسلميين . و يسحق الله أملهم بالنصر و الفتح و سيدخلون مكة مهلاين ملين قريباً وقد كان ذلك فدخلوها في العام القابل . . .

[ بقية المنشور على ص ٣٠ ]

البس ، و القنوط ، و تردد فرانصها بذراوات العقاب والعذاب ، و مظاهر الغضب و الجلال ، وقد كان في ذلك لعلماء اليهود ، و شراح الكتب المقدسة ، و رهبان المسيحية الغلاة المنطرفين أكبر نصيب ، و منحها فرصة جديدة جميلة من الحياة ، و نفع في قلبها الضعيف المتواني ، و جسدها الهاشد البارد روحآ جديدة ، و حرارة جديدة ، و هيأ لجروحها باسمها ، و رفعها من حضيض التراب إلى أوج العزة والسيادة ، و الثقة و الاعتزاز ، و الاعتداد بالنفس ، والاعتماد على الله .

## الغائم وأحكامها :



الأستاذ عبد الرحيم صالح عبد الله :

### تعريف الغيمة :

الغيمة كل مال أخذ من المشركين و السكفار قهراً عند ما يكونون في حالة حرب مع المسلمين ، و ما الحق بهذا المال : كفدية أسرى و هدية حرب لـ أمير جيش أو غيره بدار حرب . و خسراً لأهل الخنس ، و باقيها للغائمين المشتركون في الحرب كما وضع الشرع ذلك كما سيأتي بيانه فيما بعد .

### إحلال الغائم للأمة الإسلامية :

قد أحل الله تعالى الغائم للأمة الإسلامية ، فأرشد سبحانه و تعالى إلى حل الغائم بقوله تعالى : « فَكُلُوا مَا غَنَمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » ( سورة الأنفال : الآية : ٦٩ ) .

و يشير الحديث الصحيح إلى أن هذا خاص بالأمة الإسلامية ، وأن الأمم السابقة لم يكن يحل لها شيء من ذلك ، روى البخاري و مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : « أعطيت خمساً لم يعطونينبي قيل ، نصرت بالرباع مسيرة شهر ، و جعلت لي الأرض مسجداً و طهوراً ، فأيما رجل من أمي ادركته الصلاة فليصل ، و أحلت لي الغائم ولم تحل لأحد قبل ، و أعطيت الشفاعة وبعثت إلى الناس عامة ، . . .

و سبب ذلك بحسب ما روى البخاري و مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ

قال : « فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا ، وذلك لأن الله تبارك و تعالى رأى ضعفنا و عجزنا فطبيها لنا ، أى أحلاها لنا . »

اختلاف المسلمين حول الغنائم يوم بدر :

كان أول صدام مسلح بين الرسول ﷺ وبين المشركين يوم السابع عشر من رمضان من السنة الثانية الهجرية في بدر ، وقد انتهى هذا الصدام بالنصر المبين و الفوز العظيم للنبي ﷺ و أصحابه الكرام رضي الله عنهم أجمعين ، ولأول مرة منذ البعثة يمكن الله تعالى عباده المؤمنين من أعدائهم الذين اضطهدوهم و ساموهم سوء العذاب طيلة خمسة عشر عاماً ، والذين أخرجوهم من ديارهم وأموالهم بغير حق إلا أن يقولوا « ربنا الله .. . . . . »

و قد ترك المشركون المهزومون و راهم أموالا طائلة جمعها المتصرفون من المسلمين ، ثم اختلفوا فيما بينهم فيما تكون له هذه الأموال ، فأرشد الله تعالى إلى أن حكمها يرجع إلى الله و رسوله .

روى الإمام أحمد عن أبي أمامة قال : سألت عبادة عن الأنفال ، فقال : زلت فينا أصحاب بدر ، زلت حين اختلفنا في النفل و سامت فيه أخلاقيا ، فانتزعه الله من أيدينا ، و جعله إلى رسول الله ﷺ ، فقسمه رسول الله ﷺ عن بواه ، يقول : عن سواء .

و روى الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ ، فشهدت معه بدرًا ، فالتي الناس ، فزم الله تعالى العدو ، فانطلقت طائفة في آثارهم يازمون و يقتلون . و أقبلت طائفة على العسكر يحوزونه و يجمعونه ، و أحدثت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة ، حتى إذا كان الليل و فاء الناس بعضهم إلى بعض . قال الذين جمعوا الغنائم : نحن حربناها فليس لأحد وإن قسمه الإمام - أو من يقوم مقامه - مع علمه بأنه يعود إلى صاحبه

فيها نصيب ، و قال الذين خرجوا في طلب العدو : لست بأحق به هنا ، نحن متـعـنةـ العـدوـ و هـزـمـنـاهـ ، و قال الذين أـحـدـقـواـ بـرـسـوـلـ اللهـ ﷺ ، خـفـنـاـ أـنـ يـصـبـ العـدوـ مـنـهـ غـرـةـ فـاشـغـلـنـاـ بـهـ ، فـنـزـلـتـ يـسـأـلـنـكـ عـنـ الـأـنـفـالـ ، قـلـ الـأـنـفـالـ لـهـ وـ الرـسـوـلـ فـاقـنـوـاـ اللـهـ وـ أـصـلـحـوـ ذـاتـ يـنـكـ وـ أـطـيـعـوـ اللـهـ وـ رـسـوـلـهـ إـنـ كـنـتـ مـؤـمـنـينـ ، ( سورة الأنفال . الآية : ١ ) فقسمها رسول الله ﷺ بين المسلمين .

و قد بين الله سبحانه و تعالى كيفية تقسيم الغنائم فقال تعالى : « وأعلموا أنما غنمتم من شئ فأن الله خمسه و للرسول و لذى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجماع والله على كل شئ قادر » ( سورة الأنفال : الآية ٤ ) .

و فيما يلى تفصيل أحكام الغنائم كما وضحتها النصوص الشرعية : حكم مال مسلم أخذه العدو بلا عوض و وقع في الغيمة :

إن حدث أن وقع يد المشركين مال مسلم بدون عوض و وقع بعد بين الغنائم التي يغنمها المسلمون من المشركين وأدركه صاحبه قبل قسمة الغنائم فهو أحق به ، و يلحق بذلك مال معاهد ذي أو غيره من رعايا الدولة الإسلامية استولى عليه المشركون مجاناً أى بلا عوض و عرفه صاحبه ، و هذا رأى عامة أهل العلم الحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن غلاماً له أبق إلى العدو فظهر عليه المسلمون فرده رسول الله ﷺ إلى ابن عمر ( رواه أبو داود ) .

و روى أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : ذهب فرس له فأخذها العدو فظهر عليه المسلمين ، فردوه عليه في زمان رسول الله ﷺ ، وفاة الناس بعضهم إلى بعض . قال الذين جمعوا الغنائم : نحن حربناها فليس لأحد

ال المسلم و أنه وقع يد أعداء الإسلام غصباً لم تصح قسمته و وجوب رده إلى صاحبه بجاناً .

و إن أدرك صاحبه مقصوماً بين المسلمين دون علم من قام بالقسمة بأى شفى عنه فصاحب أحق به و لكن بشمنه ، و يرى بعض الفقهاء أنه لاحق له فيه وفيما يلي تفصيل أقوال العلماء في هذا الموضوع كما جاء في كتاب المقنع لابن قدامة .

يرى الحنابلة أن صاحبه أحق به بالثمن ولو كان معاهداً و سواء أكان أخذته بشراء أو قتال ، الحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً وجد بغيره له كان المشركون أصابوه فقال له النبي ﷺ : « إن أصبته قبل القسمة فهو لك وإن أصبته بعد ما أخذته بالقيمة ( رواه ابن قدامة في كتابة المقنع ) و ذلك لثلا يفضي إلى ضياع الثمن على المشترى .

و من الذين يرون أنه لاحق له فيه بعد القسمة عمر و علي رضي الله عنهما ( كما روى ذلك ابن قدامة في كتابه المقنع ) .

و قال الشافعي و ابن المنذر يأخذ صاحبه قبل القسمة وبعدها و يعطي مشتريه منه من خمس المصالح لأنه لم يزل عن ملك صاحبه فوجب أن يستحق أخذه بغير شئ كقبل القسمة ، و جعل من سهم المصالح لأن هذه منها .

و روى ابن قدامة في كتابه المقنع أيضاً أنه روى سعيد أن عمر رضي الله عنه كتب إلى السائب « أيما رجل من المسلمين أصاب رفيقه أو متاعه بعينه فهو أحق به من غيره ، و إن أصابه في أيدي التجار بعد ما اقتسم فلا سيل إليه » .

فأما إن أخذه أحد من الرعية بهبة أو سرقة أو بغير شئ فصاحب أحق به بغير شئ فهؤلئك شئياً عليه علامة المسلمين و لم يعلم صاحبه

## الغزيمة لمن شهد الواقعة :

يرى أحمد بن حنبل أن الغزيمة لمن شهد الواقعة من أهل القتال ، كما روى

ابن قدامة في كتابه المقنع عن الشافعى عن ابن شهاب أن عمر رضي الله عنه قال : « الغزيمة لمن شهد الواقعة ، سواء قاتل أم لم يقاتل مادام أنه كان مستعداً للقتال .

فاما المريض العاجز عن القتال فلاحق له في الغزيمة كما يرى الحنابلة لأنه ليس من أهل الجهاد كالعبد ، و أما إذا كان المرض لا يمنع من القتال : كالجنى والصدع فيرى الحنابلة أنه لا يسقط سبمه ، لأنه من أهل الجهاد ويعين برأيه وتكتيره ودعائه . و كذلك المخذل و المرجف لاحق لهم في الغزيمة ، ولو قاتلا لأن ضررهم أكثر من نفعهم .

و كذلك الفرس الضعيف العجيف فلاحق له لأنه لا نفع فيه .

و إذا لحق مدد أو هرب أسير فأدركوا الحرب قبل انتقامتها أسمهم لهم ، لقول عمر رضي الله عنه « لأنهم شاركوا الغانمين في السبب فشاركونه في الاستحقاق ، ( ذكره ابن قدامة في المقنع ) .

و إذا جاؤوا بعد إحراز الغزيمة فلا شيء لهم لما روى أبو داود عن أبي هريرة أن أباً بن سعيد بن العاص و أصحابه قدموه على النبي ﷺ بغير بعد أن فتحها ، فقال أباً : إقسم إنا يا رسول الله ، فقال عليه السلام : « إجلس يا أباً ، ولم يقسم له رسول الله ﷺ .

و يذكر ابن قدامة في المقنع أنه لو لحق عدو و قاتل المدد منهم حتى سلوا الغزيمة فلا شيء لهم إنما قاتلوا عن أصحابها لأن الغزيمة في أيديهم .

و من مات بعد انتقام الحرب فسممه لوارثه ، و ذلك لأن الغزيمة ملكت بالاستيلاء عليها لقوله ﷺ : « من ترك حقاً فلورثه ، و الغزيمة لا تملك إلا بالحيازة فهؤلئك غزيمة .

فلا مات قبلها فلا شئ له لأن مات قبل ثبوت ملك المسلمين .

و يشارك الجيش سراياه فيما غنم و يشاركونه فيما غنم ، أى أيهما غنم شارك الآخر ، و هذا قول أكثر العلماء لأنه عليه السلام لما غزا هوازن بعث سرية من الجيش قبل أو طاس فشاركت يمنا و بين الجيش ، و لأن الجميع جيش واحد و كل منها رده لصاحبها .

و إذا قسمت الغنيمة في دار الحرب فتباعوها ثم غالب عليها العدو فهو مال المشرقي في إحدى الروايتين اختارها الحلال و صاحبه ، و الأخرى من مال البائع اختارها الحرام .

و من وطى جارية من المغم من له فيها حق أولولده أدب ولم يبلغ به الحد عليه مهرها ، و يطرح في المقسم إلا أن تلد منه فيكون عليه قيمتها و تصير أم ولد لها ، والولد حر ثابت النسب .

#### قسمة الغنائم :

فإذا أراد الأمير القسمة بدأ بالأسلاب فدفعها إلى أهلها ، ثم أخرج أجرة الذين جعوا الغنيمة ، و حملوها و حفظوها .

#### السلب و حكمه :

السلب كما عرفه الفقهاء هو فرس المقتول و سرجه و لجامه و كل ما عليه من لباس و حلبة و مهاميز و كل ما معه من سلاح ، و كل ما معه من مال في نطاقه أو في يده أو كيفما كان معه .

يقول ابن حزم في حكم السلب : إن كل من قتل قتيلاً من المشركيين فهو سليمه ، قال الإمام ذلك أو لم يقله في بداية المعركة ، و كيف ما قتله صبراً أو في القتال ، ولا يخس السلب قل أو كثر ، و لا يصدق إلا ببينة في الحكم ، فان لم

ت肯 له يينة أو خشى أن يتزعزع منه أو أن يخمن فله أن يغبيه و يخفي أمره . و يستند ابن حزم في فتواه هذه على الأدلة التالية .

روى مالك عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ قال بعد انتهاء القتال يوم حنين : « من قتل قتيلاً له عليه يينة فله سلبه » .

و روى البخاري عن إبراهيم بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال : أتى النبي ﷺ عين من المشركين وهو في سفر بجلس عند أصحابه يتحدث معهم ، ثم انقتل ، فقال النبي ﷺ : « أطلبوه واقتلوه » . قال سلمة : « فقتلته » . فقله رسول الله ﷺ سلبه .

و روى أبو داؤد عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين : « من قتل كافراً فله سلبه » . فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلاً وأخذ أسلابهم ، ثم روى ابن حزم عن طريق وكيع أن بشر بن عاصمة قتل يوم القادسية عظيماً من الفرس مبارزة و أخذ سلبه ، فأتى به إلى سعد بن أبي وقاص فقومه إثنى عشر ألفاً فنفله إياه سعد .

كما روى ابن حزم عن طريق ابن جريج أنه سمع نافعاً يقول : لم نزل نسمع أنه إذا التقى المسلمون والكافر فقتل مسلم مشركاً فله سلبه إلا أن يكون في معمعة القتال فإنه لا يدرى أحد قتل أحداً ، وإن كل سلب لا تقوم لقاتلها يينة فهو في جملة الغنيمة ، كما أن كل مال لا يعرف صاحبه فهو في مصالح المسلمين .

#### خمس الغنيمة :

و بعد أن يدفع الأمير الأسلاب إلى أهلها ، وبعد أن يخرج أجرة الذين جعوا الغنيمة و حملوها و حفظوها ، و يخمن الباقى و يقسم خمس الغنيمة على خمسة سليميه ، قال الإمام ذلك أو لم يقله في بداية المعركة ، و كيف ما قتله صبراً أو في القتال ، ولا يخس السلب قل أو كثر ، و لا يصدق إلا ببينة في الحكم ، فان لم

يقول ابن حزم يقسم خمس الغنيمة على خمسة أسمهم :

فسمهم يضعه الامام حيث من كل ما فيه منفعة و صلاح وبر ل المسلمين ، وهذا هو سهم الله و رسوله و مصرفه مصرف الفقى .

و سهم ثان لبني هاشم و المطلب بنى عبد مناف غنائم و فقيرهم ، و ذكرهم و أثراهم و صغيرهم وكبارهم و صالحهم و طالحهم فيه سواء ، ولا حظ فيه لموالיהם ولا لآلفائهم ، ولا لبني بناتهم من غيرهم ، ولا لأحد من خلق الله تعالى سواء ولا لكافر منهم .

و سهم ثالث للبناى من المسلمين ( والبناى هم الذين قد مات آباءهم فقط ، فإذا بلغ الواحد منهم رشده ، فقد سقط عنه اسم البناى و خرج من السهم ) .  
و سهم رابع للساكين من المسلمين .

و سهم خامس لابن السبيل من المسلمين .

و برهان ذلك قوله تعالى : « و اعلموا أنما غنمتم من شئ فأن الله خمسه و للرسول ولذى القربى و البناى و المساكين و ابن السبيل » .  
و لقوله تعالى : « كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم » .

ويقول ابن حزم : فلا يسع أحداً الخروج عن قسمة الله تعالى التي نص عليها:  
وروى ابن حزم من طريق أبي داؤد عن جبير بن مطعم قال لما كان يوم خير وضع رسول الله ﷺ سهم ذى القربى في بني هاشم و بني المطلب و ترك بني نوفل و بني عبد شمس ، قال ، فانطلقت أنا و عثمان بن عفان إلى رسول الله ﷺ فقلنا يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم لا ينكر فضلهم للذى وضعك الله به منهم ، فما بال إخواننا بني المطلب أعطتهم و تركتنا ، و قرابتنا واحدة ، فقال رسول الله ﷺ ، إنما وبنو المطلب لا نفرق في جاملية ولا إسلام ، وإنما نحن وهم شئ واحد ، وشك بين أصابعه .

# دراسات وأبحاث

سنة إحدى و خمسين و خمسماية ، أعني قبل مائة عام تماماً من ميلاد صاحبها خسرو و الدهلوى ، و مثال ذلك قوله :

شنبى زمانى بفكري حدبى همى پند بردار تا به شهود  
فإن هذا البيت ينقلب عربياً بعد تعديلات يسيرة في الأعجم على ما مثله .

سيبدى زمانى بفكري حدبى همى يند بردار تا به سود

( أنظر مقامات الحيدى : ص ٢٧ ) و نظير ذلك عند خسرو فيما نقل عن العلامة شبلى من رسالته ، وعده في مختراعاته ، على أن الصواب كما نقدم أن هذا الصنف من مختراعات الحيدى قبل أن يظهر خسرو بكثير ، وممما يكن بهذا قوله بالفارسية :  
رسيدى بدیدى مرادى بخافى زمانى يیاشى به یارى بشافى  
و لکه بعد تصرفات يسيرة في الأعجم يصير عربياً على النحو التالي :  
رشيدى ندیدى مرادى بخافى رمانى ییاس تبارى نسافى  
و هذا الصنف يسمى ( دورو ) أى ذو الوجين . و لا يخفى ما في هذا الضرب من الاختراع من ركاكه منكرة .

و من هؤلاء الكتاب بهاء الدين أو ظهير الدين محمد بن علي الظهيري الكاتب السمرقندى كتب برسم الملك قلج طغماج خان مسعود القراخانى كتابه سند باد نامه و قد حشأه بذبح منظومة أو منشورة بالعربيه و هنالك شمس الدين الدقائقى المروزى في القرن الرابع للهجرة . ثم جاء القاضى أبو بكر حميد الدين عمر بن محمود البلخي ( المتوفى سنة ٥٥٩ هجرية ) صاحب المقامت باللغة الفارسية ، و قد أنشأ أربعاً وعشرين مقامة على غرار البديع الهمذانى وأيى محمد القاسم بن الحريرى فأورد فيها من الشعر العربى أفراداً وقطعاً كثيرة معظمها ما جادت به قريحته ، وإنما اختراع في المقامة الخامسة في الأشعار والألغاز قسماً من الكلام المنظوم يقرأ باللغتين الفارسية و العربية بأدنى حرف للنقط عن وجهاً . و قد تم له أن ينشئ هذه المقامت في

الأستاذ أبو حفظ الكريم المعصوم

خسرو و مكانته في اللغة العربية



( الحلقة الرابعة الأخيرة )

[ يتبع خسرو في مؤلفاته الفارسية طائفة من كتاب الفرس الأقدمين ]  
يقع على أن أشير إلى الحافظ الذى حثه على نظرية مؤلفاته بأن يأتى بيت أو  
نصف بيت عربى في أثناء توصياته بالفارسية . و ذلك أن الكتاب الفارسيين مع  
جنوحهم إلى الفارسية في كتاباتهم منذ عصر الدولة السامانية ، ظلوا يستعملون في  
خلال عباراتهم ، الأمثال العربية نظماً و نثرآ حتى كانت عباراتهم بلغة العجم مع  
احتواها الفقر القصيرة أو الآيات الساقية التي يضرب بها المثل ترآى كأسلاك  
عقد مفصل ، ومن أقدم الشواهد على هذا المنحى التاليف ما نلاحظ في ( قابوس نامه )  
للأمير عنصر المعالى - من بقايا الأسرة الزيدية بحرجان ، وكان حفيد الملك الشهير  
قابوس بن وشكير - و من كتب التاريخ السياسي في كتاب أبي الفضل البهقي وهو  
من أمهات المراجع التاريخية ، كما أن مؤلفه أحد أعلام التاريخ المدون باللغة الفارسية  
في القرن الرابع للهجرة . ثم جاء القاضى أبو بكر حميد الدين عمر بن محمود البلخي  
صاحب المقامت باللغة الفارسية ، و قد أنشأ أربعاً وعشرين مقامة على غرار البديع الهمذانى وأيى محمد القاسم بن الحريرى فأورد فيها  
من الشعر العربى أفراداً وقطعاً كثيرة معظمها ما جادت به قريحته ، وإنما اختراع في  
المقامة الخامسة في الأشعار والألغاز قسماً من الكلام المنظوم يقرأ باللغتين الفارسية  
و العربية بأدنى حرف للنقط عن وجهاً . و قد تم له أن ينشئ هذه المقامت في

( المقامات : ص ٥ ) يعني اقتطع بالمادة التي كانت بوعلك و لا تطلب العارية من ذخر غيرك كذب العاطلين من كل علم و فضل ، وهذا هو البيت الذي ختم به خسر و كتابه الخزان :

من يستطيع عبادة في بيته لم يستطع الخز من أصحابه

[ مستوى الثقافة العربية في عصره ]

إذا بلغنا الكلام إلى هنا فلا بد أن نلمع إلى مستوى الثقافة العربية بالهند في عصر خسر و خاصة بالنظر إلى أخريات أيامه و لعل أوثق مصدر بهذا الصدد ما ترك لنا ابن بطوطة في رحلته ( تحفة النظار ) من تفاصيل معتبرة في هذا المعنى وقد كانت الفترة بين وفاة صاحبنا خسر و بين قدمه هذا السانح الجواه ، الهند في سنة ٧٣٤ هجرية تقارب مئتين أعوام فقط ، و مثل هذه المدة القصيرة لا تكون حدوث أي تغير على الظروف الثقافية . واتفق لابن بطوطة أن يدرك بعض الأجلة من خلفاء الشیعه نظام الدين أو من زملاء خسر ، كالشیخ علاء الدين التلبي المذكور آنفاً ، و كانت مجالس تذکیره شهد بعضها ابن بطوطة كما أوضح ذلك بالتفاصيل التي لسننا بصددها الآن ( يراجع تحفة النظار : ج ٢ ، ص ١٩ - ٢٠ ) و كان السلطان محمد شاه نغلق نفسه من كبار أهل العلم ، كما اجتمع عنده في بلاطه كثير من أعلام البلاط من مختلف الأجناس و الأئمّه نشير منهم خاصة إلى ابن الخليفة بلقاء - ص : ١٨٥ ) و قد بسط في ذلك تمام البسط في الفصل المقدم الذي نقلته آنفاً من أصله الفارسي ، فتحن في غنى عن الاعادة بتصديقه ولكن مما يجدر بالذكر أنه ختم خزان الفتاح ، بنحو البيت الذي أنهى عليه نفس هذا الفصل الصافي في رسائله ، والمذهب الذي أبيان عنه في هذا البيت هو نفس المنحى الذي سار عليه الحميدى صاحب المقامات حيث يقول في مقدمة كتابه ما نصه :

المازن الذى ملا كتابه بالمقطوعات الشعرية الكثيرة بالعربية و هو أقدم كتاب بلا دفاع في تاريخ الهند الشمالية ، قدمه المؤلف السلطان إيلتمش ، فلا عجب بعد كل ذلك إذا وجدنا صاحبنا يورد في مجموع رسائله الشهيرة باعجاز خسر و آياتاً عربية في أماكن شتى أو يثبت في كتابه خزان الفتاح أفراداً من منظوماته بلغة الناطقين بالضاد .

مع ذلك ينبغي أن نلاحظ الفرق بينه وبين أولئك المتقدمين بأنهم في الغالب يقتبسون هذه الآيات من غيرهم و لا يأتون بما أتجهه خاطرهم إلا نادراً فليلاً . وإنما يستثنى منهم صاحب المقامات الحميدية أو الشیخ سعدی الشیرازی صاحب کستان ، و أما صاحبنا فلا يكاد يلفت النظر إلى شيء من دواوين غيره مع وقوفه عليها تمام الوقوف ، و يشهد له بالطموح أنه لم يتعرض إلا أن يرمي عن قوس هو باريها فكان مردوداً الوجه أن يثبت فقط ما سمع له ، و كلما اتفق له إيراد بيت من الشعر أو شطر موزون فشرطه أن يكون ذلك من تاج خاطره وقد صرح بذلك في آخر كتاب خزان الفتاح حيث قال : « ونحو استم كه هيچ نظم يیگانه از عربی وفارسی سر قلم راسیه بگرداند ، وروی صفحه را أبلق (أی ومارضیت بآن يكون شيء من شعر غيري بالعربية أو الفارسية يسود رأس قلمي أو يترك صحيفه طرسی آنها من أصله الفارسي ، فتحن في غنى عن الاعادة بتصديقه ولكن مما يجدر بالذكر أنه ختم خزان الفتاح ، بنحو البيت الذي أنهى عليه نفس هذا الفصل الصافي في رسائله ، والمذهب الذي أبيان عنه في هذا البيت هو نفس المنحى الذي سار عليه الحميدى صاحب المقامات حيث يقول في مقدمة كتابه ما نصه :

★ با مایه خود بساز و چون بی هران سرمایه بعماریت مخواه اذ دگران ★

ابن بطوطة و قال معيزاً عن نفسه و تواضعه ( بل عبدكم و خدمكم ) فرد عليه عشرين ليلة من زفافه ( يراجع المرجع الآنف : ج ٢ ص ٤٨ - ٤٩ ، ٥٠ ) والأديب جمال الدين المغربي البجاف و ربما كان أصلقهم بابن بطوطة وكانت بجهة مولده إلا أنه ورد الهند مع أبيه ثم استوطنه فنشأ له بها أولاد ( المرجع السالف : ج ٢ ص ٤٨ - ٤٩ ) ومن غير العرب أمثال عبد العزيز الأردويلي و كان فقيهاً حدثاً تخرج على كبار أعلام القرن السابع أمثال نبي الدين بن تيمية الحرناني وبرهان الدين بن البركح ( كما وعلمه ابن الفركاح ، راجع له طبقات الشافعية ابن السبكى : ج ٢ ص ٤٥ ) و جمال الدين المزى وشمس الدين الذهبي ( انظر تحفة النظار : ج ٦ - ص ٤٤ ) و منهم الشيخ زاده الدمشقى الذى بعث السلطان في صحبته عشرة آلاف دراهم إلى القاضى مجد الدين الشيرازى ( تحفة النظار ج ٢ ص ٤٤ ) و من إليها .

و زد على ذلك السلطان محمد ، كان شديد الاعجاب بالعرب مؤثراً لهم ومعترفاً بفضائهم ( أيضاً المرجع السالف : ج ٢ ص ٤٩ ) و ما يدل على حبهم لكل عربى ما حكى عنهم ابن بطوطة قائلاً ما نصه : و أهل تلك البلاد ما يدعون العرب إلا بالتسويد ، و بذلك يخاطبه السلطان تعظيماً للعرب أيضاً المرجع السالف : ج ٢ ص ٨١ ) .

غيرة في تلکم الظروف الراهنة ، على أن حظوظهم من العربية طبعاً كانت لا تساوى ما يحصل عليه الكاتب العربي من أساليب التعبير عما يعترض له من المعانى ، وإذا كان العلماء المثقفون حتى الأخصائين باللغة بالمعنى الخاص ، لا يقدرون على قرض الشعر الجيد دون تعاطيهم للإفاعيل و التفاعيل أو الأدوات الظاهرة لتنظيم العربية فكيف يتوقع من خسرو وأمثاله أن يتجاوزوا هذا الجو الذي نشأوا فيه إلى حلبة الشعراء الملقفين أو يشقوا غبارهم . ثم إن الشعر العربي نفسه كما أشار إليه العلامة شبل ( تحفة النظار : ج ٢ ص ٨٢ ) ثم إنه حكى لنا فقرة قصيرة للسلطان إذ قابله

( يراجع المرجع الآنف : ج ٢ ص ٤٨ - ٤٩ ، ٥٠ ) والأديب جمال الدين المغربي البجاف و ربما كان أصلقهم بابن بطوطة وكانت بجهة مولده إلا أنه ورد الهند مع أبيه ثم استوطنه فنشأ له بها أولاد ( المرجع السالف : ج ٢ ص ٤٨ - ٤٩ ) و من غير العرب أمثال عبد العزيز الأردويلي و كان فقيهاً حدثاً تخرج على كبار أعلام القرن السابع أمثال نبي الدين بن تيمية الحرناني وبرهان الدين بن البركح ( كما وعلمه ابن الفركاح ، راجع له طبقات الشافعية ابن السبكى : ج ٢ ص ٤٥ ) و جمال الدين المزى وشمس الدين الذهبي ( انظر تحفة النظار : ج ٦ - ص ٤٤ ) و منهم الشيخ زاده الدمشقى الذى بعث السلطان في صحبته عشرة آلاف دراهم إلى القاضى مجد الدين الشيرازى ( تحفة النظار ج ٢ ص ٤٤ ) و من إليها .

و زد على ذلك السلطان محمد ، كان شديد الاعجاب بالعرب مؤثراً لهم ومعترفاً بفضائهم ( أيضاً المرجع السالف : ج ٢ ص ٤٩ ) و ما يدل على حبهم لكل عربى ما حكى عنهم ابن بطوطة قائلاً ما نصه : و أهل تلك البلاد ما يدعون العرب إلا بالتسويد ، و بذلك يخاطبه السلطان تعظيماً للعرب أيضاً المرجع السالف : ج ٢ ص ٨١ ) .

فلا غرو أن قدوم هؤلاء إلى البلاط الملكي يعتبر سبباً مباشرأً لانتشار اللغة العربية و اتساع نطاقها الثقافي و مع ذلك كانت أدواتهم بالعموم لا تتجاوز حدود الفهم أما القدرة على التكلم بها فقلما ساعدتهم الظروف عليهم إقلة الحاجة إلى ذلك فكيف يتوقع من خسرو وأمثاله أن يتجاوزوا هذا الجو الذي نشأوا فيه إلى حلبة الشعراء بالعربي حتى ذكر ابن بطوطة : و كان السلطان يفهم العربية و لا يحسن الجواب عنه ( تحفة النظار : ج ٢ ص ٨٢ ) ثم إنه حكى لنا فقرة قصيرة للسلطان إذ قابله

البعث الاسلامي

مراراً مع ضيق المتنع يدل على ضعف سائد ، قوله ( و مغناك .. أهلا ) يتم  
عن نوع آخر من الانحلال الفنى كأن قوله ( فصدقى عند مجدى ) أشبه بتعير  
المولدين و ليس على سين أهل اللغة و لكنها على علاتها قطعة حسنة نقية الأسلوب  
و الطراز و اخلس فيها من شعر أمية بن أبي الصلت في ابن جدعان حيث قال :  
**أذكر حاجي أم قد كفاني حيامك أن شيمتك الحياة**  
فإذا جاءت هذه القطعة مع أنها عريضة السوس مغربية. الملبوس تم عن تطرق  
الضعف إلى الأسلوب العربي و هي لا تخلي من بعض اهانات اللغوية و الفنية و إذا  
كان ناظم درها مع كونه عريضاً صرحاً إلى جانب ثقافته العميقه الواسعة لا يستطيع  
أن يخرج الكلام على مقتضى السليقة العربية و يتجنب الضرورات فالعجب أن تتطلب  
من عند خسر و غيرها اختيار هو لنفسه من أسلوب المخترع بالذات ، بعد أن  
نبه على طريقة هذه بكل صراحة في بعض رسائله ، و ذلك لكيلا يقعوا في الخطأ إذا  
روا بشئ من نماذج شعره العربي فيromoه بقلة العناية بالعربية وأساليبها أو بعدم  
محاوزته الأوليات اللغوية .

هذا وقد تجمع عندي من أبياته باللغة العربية جموعة مستملحة . وإن أعمل  
آن أقدم إلى المغرمين بها في القريب إذا ساحت الفرصة ، وبالله التوفيق وهو المستعان .

رحمه الله ، أصابه عبر القرون تطورات شئ نتجت عوامل مختلفة سياسية و إقليمية  
و كانت القلاقل الدواية ، لها أبلغ الأثر في إنشاء الجمود و الركود تارة ، و في  
الانعاش و الرفق تارة أخرى ، فـ لا بد أن نلاحظ إذا تكلمنا عن امكانية خسرو  
و غيره من شعراء العربية بالأخذ بهذه العوامل المحلية الفعالة ، ومدى تأثيرها على الشعر  
و الأدب العربي بصفته كلها إذا اخذوا العربية أداة للتعبير عن خفايا ضمائرهم و خبايا  
عواطفهم و هواجس خواطركم ، ولما عاش خسرو في عصر انسحاب التقافية العربية  
على القمرى و احتلال اللغة الفارسية محلها المرموق في البلاط الملكي و العاصمة  
قطبعاً قلت دربه واعتبرت ذوقه الأدبي ضآلة . ويقتضي المقام أن نسترعى الانتباه إلى  
نوع موازنة بين طرازه و طراز الرحالة المغربي ابن بطوطة في قطعة من كلامه الرنانة  
في مدح السلطان محمد بن تغلق و انحدرت إليها الآيات التالية منها برواية ابن جزى

إليك أمير المؤمنين المجلة  
جئت مخلاً من علائقك زائراً  
فلو أن فوق الشمس لاجد رتبة  
فأنت الامام الماجد الأحد الذي  
ولي حاجة من فيض جودك أرجوكي  
آذكرها أم قد كفاني حياؤكم  
فعجل لمن وافى محالك زائراً  
أيتها نجد السير نحوك في الفلا  
و معناك كف لزيارة أهلا  
لكت لأعلاها إماماً مؤهلا  
سبحاياه حتى أن يقول و يفعل  
قضاهما وقصدى عند مجدك سهلا  
فإن حاكم ذكره كان أجملـا  
قضا دينه إن الغريم تعجلـا

قوله ( قضاها ) و ( قضا دينه ) و ( حسامك ) كل ذلك أتى به الشاعر  
الاضافة مع قصر الممدود و هو من الضرورات المأذونة . إلا أن رکوبها

إن هجرة الأيدي العاملة الماهرة تهدد الحلة التعليمية بأكلها للعالم العربي وسياسته العلمية و الطريق الذى اختاره لتطوره و نموه .

و قدم عالم عربي هو الدكتور أ. ب. زحلان إحصاءات أخرى تبعث اليأس في النفوس حول هجرة الأدمغة في مؤتمر عقد في بيروت في السنة الماضية .

و قال : إن ما يتراوح بين عشرة بالمائة و ٢٠ بالمائة من العشرين ألف عربي الذين يدرسون في الخارج كل سنة يبقون في الغرب وإن واحداً بالمائة من الثلاثمائة ألف عربي الذين يتلقون دراسات عليا في بلدان العالم العربي يهاجرون كل سنة ، وهذا يعني خسارة سنوية يبلغ مجموعها بين ٥آلاف و ٧آلاف من الرجال و النساء المؤهلين علمياً . و يمكن تقدير خطورة هذه الخسارة من الحقيقة الراهنة و هي أن مجموع الشهادات الجامعية التي منحتها الجامعات العربية في سنة ١٩٦٦ -

١٩٦٧ بلغ وفقاً للدكتور أديسيشيه ٤٢٠٢٤٤ شهادة كان أكثر من نصفها في مصر . و بعد أن قدر كلفة تدريب عام واحد بحوالي ٢٠ ألف دولار خلص إلى نتيجة و هي أن هذه النسبة السنوية في الخسارة تكلف العالم العربي ١٠٠ مليون دولار في السنة ينفقها على التعليم ، و الدافع إلى هجرة الأدمغة متعددة ولكن العوامل الرئيسية عادة اقتصادية و سياسية و مهنية و داخلية ...

على أن هناك ما قد يعتبر عنصراً أكثر أهمية هو جو القلق السياسي في العالم العربي و ميل دول المنطقة إلى إحداث تغيير سياسي بوسائل العنف لا بالسائل السياسية ..

و قد أشارت جريدة السياسة الكويتية في عددها (٧٠٩٩) في ١٨ / ٤ / ١٢٩٠ إلى هذا التقرير و ذكرت مقتطفات منه ، و ما نشرته جريدة السياسة نقلاً عن تقرير الدكتور أديسيشيه نائب المدير العام لمنظمة اليونسكو :

إلى هن يغطون في نومهم ؟

فضيلة الشيخ زيد بن عبد العزيز بن فياض  
الرياض

يزايد القلق في البلدان العربية من هجرة الأدمغة المتزايدة التي يقول الخبراء أنها تهدد التنمية التربوية و العلمية و الصناعية للعالم العربي .

و قد أخذت بلدان عديدة وبصورة خاصة مصر و العراق خطوات لوقف هذه الخسارة لأوروبا و أمريكا الشمالية في المهندسين و الأطباء و العلماء الذين تشكل مهاراتهم رصيداً وطنياً ، و تزداد في بلدان أخرى من أجل اتخاذ إجراء لوقف هجرة الأدمغة وإقناع العرب المؤهلين تأهلاً عالياً و العاملين في الخارج بالعودة ل القيام بدورهم في تنمية أوطانهم ، و حذرت جريدة « الثورة الدمشقية » شبه الرسمية في ٢٨ / أيار الماضي من الخطير الخيف الذي تمثله هذه الهجرة في الأيدي العاملة الماهرة بالنسبة إلى العالم العربي ... ، و تفيد إحصاءات غير كاملة إلى أن أمريكا الشمالية وفرنسا من ثمان دول عربية في الفترة بين ١٩٦٢ و ١٩٦٧ ومن أصيحاً أكثر من غيرهما بالنسبة إلى عدد السكان ...

ولا تزال نسبة هجرة الأيدي العاملة الماهرة في ازدياد و ارتفعت نسبة الهجرة من لبنان و سوريا و العراق من سنة ١٩٥٦ إلى سنة ١٩٦٧ إلى خمسة أضعافها بينما ارتفعت من المتحدة و الأردن إلى ثلاثة أضعافها .. يقول نائب المدير العام لمنظمة اليونسكو في ختام تقريره :

إن سبعين بالمائة من العلماء العرب الذين يسافرون إلى الخارج للتخصص لا يعودون إلى بلادهم .

و ما من ريب في أن هذه حقائق مذهلة و خطيرة في نفس الوقت و هي قينة بأن تثير شعوراً من الأسى و الأسف على ما وصلت إليه الحال في بعض البلدان العربية فانعكست آثارها على كل ميدان بما فيها الميادين العلمية و الثقافية .

ولنا أن تصور مدى الإسهام في إرباك العالم العربي و إضعافه أمام العدو الطامع الذي استولى على فلسطين و على أجزاء هامة و مواقع حصينة و ثروات عظيمة من بلدان عربية شتى ، و لنا أن نتساءل و قد رأينا نجاح كثير مما خطط له العدو الغادر - أليس للهود يد في تشريد ذوى الذكاء و الحصانة و الموهاب العلمية و الأدبية - في العالم العربي ؟ ! و إن للهود وسائل عديدة و أساليب ماكرة ، من بينها إحداث الفتن والقلائل والعنف ومحاربة الممتازين والموهبين -- حتى نزول العوائق التي تحول دون تحقيق أمانهم .

بل إن هذا أمر من الوضوح والجلام بحيث يعرفه من تأمل بروتوكولات حكماء صهيون وأشباهها وقارن بينها وبين واقع الأمة العربية في كثير من ديارها و على اختلاف أنظمتها .

و مرد ذلك إلى الجهل و الغرور و العسف . فالغفلة من بعض المسؤولين عن إدراك غايات العدو و أهدافه و وسائله ثم الغرور الذي يسول لصاحب أنه قد أحاط علماً بكل شيء و أنه ليس في حاجة إلى الشورى و النصيحة و إبداء الرأي من ذوى العلم و الموهاب و المخلصين ، و ماله الآثاف التسلط و القهر و الطغيان و معاملة الناصح و الصادق كعدو لدود و النظر إليه بعين الغضب و السخط ، كل هذه العوامل قد جعلت للدسائس اليهودية - مع الأسف دوراً باززاً في أحداث العالم العربي و ما يجري فيه على الصعيدين الداخلي والخارجي .

و إن كانت هذه الحقيقة مرة يصعب على البعض استئاغتها و فهمها فإن من الخير أن لا يتسرع في نفيها و المبادرة بانكارها و لوم الصادع بها .

و لم يخف اليهود مقاصدهم و ما يعملون له بلا كل ولا ملل في هذا السبيل .

و هذه فقرات نقلها بنصها عسى أن يكون فيها تنبية و تذكير لمن لا يزال غافلاً أو متتجاهلاً لما يدبره اليهود من مكائد و مؤامرات .

جاء في البروتوكول السادس ص ١٣٩ الطبعة الرابعة ترجمة الأستاذ محمد

خليفة التونسي :

« ولكي ينخرب صناعة الأميين وساعد المضاربات ، ستشجع حب البرف المطلق الذي نشرناه من قبل و ستفيد الأجور التي لن تساعد العمال ، كما أنتا في الوقت نفسه سترفع أثمان الضروريات الأولية متخذين سوء المحصولات الزراعية عذرآ عن ذلك ، كما ستنسف بمهارة أيضاً أسس الاتاج يذر بذور الفوضى بين العمال و بشجاعتهم على إدمان المسكرات . و في الوقت نفسه ستعمل كل وسيلة ممكنة لطرد كل ذكاء أممي (غير يهودي) من الأرض » .

و في البروتوكول الخامس ص ١٣٦ - ١٣٧ في ذكر محاولاتهم للسيطرة على

رأي العام و توجيهه حسبما يريدون :

« و السر الثاني و هو ضروري لحكومتنا الناجحة أن تتضاعف و تتضخم الأخطاء و العادات و العواطف و القوانين العرفية في البلاد حتى لا يستطيع إنسان أن يفكر بوضوح في ظلامها المطبق و عندئذ يتعطل فهم الناس بعضهم بعضاً ، هذه السياسة ستساعدنا أيضاً في بذر الخلافات بين الميئات و في تكثيل كل القوى المجتمعية وفي تشويط كل تفوق فردي ربما يعوق أغراضنا بأى أسلوب من الأساليب .

البعث الإسلامي

إلى من يغطون في نومهم ★

لا شئ أخطر من الامتياز الشخصي فانه إذا كانت وراته عقول فربما يضرنا  
أكثر مما يضرنا ملايين الناس الذين وضعنا يد كل منهم على رقبة الآخر ليقتلهم ..

و في البروتوكول العاشر ص ١٥٠ :

« فإذا أوحينا إلى عقل كل فرد أهميته الذاتية فسوف تدمى الحياة الأسرية  
بين الأعمى و نفسد أهميتها التربوية و ستعوق الرجال ذوى العقول الحصيفة عند  
الوصول إلى الصدارة و أن العامة - تحت إرشادنا - ستتلقى على تأثير أمثال هؤلاء  
الرجال و لن نسمح لهم أبداً أن يقرروا لهم خططاً ..

هكذا يعمل - أعداء البشرية - على إبعاد ذوى الموهاب و الذكاء و يحاربونهم  
بكل وسيلة وفي كل ميدان كجزء من مخططاتهم الى يسعون فيها للقضاء على الأديان  
و الممالك ليحققوا حلمهم في حكم العالم و السيطرة عليه تحت راية ملك من نسل  
داود يحكم بالنوراة و التلود !!

أما الحقيقة فان ملتهم هو المسيح الدجال - الذى يقتله المسيح عيسى بن  
مریم عليه السلام و معه المسلمين يقاتلون اليهود بلا هوادة ..

و ما هذه الحرب الدائرة اليوم على ضفاف الأردن و قناة السويس و في  
ارتفاعات الجولان و مرج الصفر و حول طبرية و وادى عربة و غزة و سيناء  
و عند المسجد الأقصى إلا تمهيداً لما سيلقه اليهود من قتل و تعذيب و تكبيل على  
أيدي المؤمنين الصادقين من أمة محمد ﷺ حتى ينزل المسيح ابن مریم عليه السلام  
و يحكم بشرعية الاسلام و يكون قائداً ل المسلمين و يده الكريمة يقتل مسيح اليهود  
الكذاب جراء بعثهم و عنادهم و عدوائهم .. و لن يختلف الله و عباده .. و هو  
ناصر من نصره و على الأمة الاسلامية ، أن تعود مجدها و عزها المتمثلين  
في الاسلام عقيدة و عملاً .



# الفتن الإسلامي

أو أخذ شيئاً منه في جرته وما إليها ، يختص به انتفاعاً واستغلالاً . ويعتبر المعرف مالكا له ، لأنه ما قام به من الاغتراف أو الأخذ في الجرة ، قد أحدث تغييراً واضحأً في وضع الماء الطبيعي ، و زاده تفراً ، و قس على ذلك الوحش . والطير ، و الآثار الطبيعية و الحضراوات و القول التي تبت عفواً في الغابة ، فهمها سبق أحد إلى الغابة ، و اصطاد فيها حيواناً أو اقتطف منها ثمرة ، فإن ذلك يغير الوضع الطبيعي ويحدد الأفادية ، حيث قد أصبحت الاستفادة من هذه الثمرة وذلك الحيوان أسهل بالنسبة إلى بقائهما في الغابة ، و لذلك فهذه الثمرة و هذا الحيوان اللذان قد كانا مباحثين من ذي قبل بالنسبة إلى جميع أفراد البشر ، أصبحا الآن خاصين بمن احتازهما .

و الأحاديث التي تشير إلى هذا المبدأ صراحة ، منها هذا الحديث « من سبق إلى ما لم يسبق إليه أحد فهو له » ، و يتضمن نفس المبدأ ما قاله رسول الله ﷺ فيها يتصل بالأرض « من أحيا أرضاً ميتة فهي له » ، وفي رواية « فهو أحق بها » ، أي فهو يستحق أن يستثمر بهذه القطعة من الأرض استفادة و انتفاعاً ، و تلك هي الملكية الشخصية . ليس إلا .

و إن كان القرآن الكريم لم يذكر هذا المبدأ صراحة ، فإنه قد ذكره دلالة ، فقد ذكر مرات أن لكل نفس بشرية ما يترتب من الآثار و النتائج على ما تقوم به من أعمال الخير و الشر ، و النفع و الضرر ، فلها ما يترتب من الآثار الحسنة في الدنيا و الآخرة على أعمالها النافذة الإيجابية . و عليها كذلك ما تتجهه أعمالها الضارة السلبية في الدنيا أو الآخرة ، جاء في سورة البقرة « لها ما كسبت و عليها ما اكتسبت » ، و جاء في سورة فصلت و الجاثية « من عمل صالحًا فلنفسه و من بني البشر أن يستفيد من كل قطرة من قطراته ، فإن سبق أحد إلى الماء و اغترفه ،

## فكرة الملكية في القرآن

الأستاذ محمد طاسين (باكستان)

نعرب : الأستاذ نور عالم الدوى

( الحلقة الثانية )

و خلاصة ما يشير إلى هذا الموضوع النوعان من الآيات - التي قدمناها في الحلقة الأولى من هذا المقال - أن الله الذي هو خالق كل شيء و مالكه الحقيق سمح لأفراد البشرية بأجمعهم ، بالتمتع بملوکاته ، و بالتصريف النافع فيها ، و أنه لا يفضل أحد على أحد في ذلك الانتفاع من أي اعتبارات ، و بتعبير آخر : إن هؤلاء الآيات تعطي فكرة مبدئية ، هي أنها ما دامت مادة من المواد الطبيعية تبقى على وضفها الطبيعي و صورتها الطبيعية ، لا يمكنها فرد من البشر على الخصوص ولا يسوغ لأحد أن يدعى أنها تختص به تاماً واستفادة ، دون غيره . و الأمر الآخر الذي يظهر - بهذا الخصوص - من القرآن الكريم دلالة

و من السنة النبوية صراحة ، هو أنه إذا سبق أحد غيره إلى التصرف و إحداث التغير و التبدل في شيء ، بحيث يؤدي هذا التغيير و التطوير إلى التحول الواضح الملووس في صورة ذلك الشيء الطبيعية مع الزيادة في قوته الإفادية و قدرته النفعية فإذاً يختص به استغلالاً و تمتعاً دون الآخرين ، فلا يجوز لأحد أن يتمتع به بدون إذن منه .

نجد مثلاً ماء البحر ، فإنه ما دام في البحر على وضعه الطبيعي يجوز لجميع أفراد بني البشر أن يستفيد من كل قطرة من قطراته ، فإن سبق أحد إلى الماء و اغترفه ،

صفر ١٣٩٨هـ

## ★ البعث الإسلامي

و ينسجم ذلك مع العقل والعدل ، فاما يتطلبان أن تتحقق نتائج و حاصلات جهد بين قام به و بذل فيه قوته العقلية و الفكرية و الجسمية ، ولا يجوز لأحد سواه الانتفاع بها إلا أن يحصل رضاه .

و خلاصة ما أسلفناه أن الملكية التي يفوز بها أحد نحو شئ هي من أجل عمله البنائي و جهده الإيجابي فقط ، فالحوzaة التي لا تحدث تحولاً واضحًا مفيـداً في وضع الشئ الطبيعي ، لا تقيـد الملكية ، وكذلك لا يكسب الملكية ذلك التغيـير الذي يقلـ من نفعـية الأشيـاء و يسبـب الضـرر على حـساب النـفع .

والاعتراف بأن السعي الإيجابي في شئ هو السبـب الأصـيل في الملكـة الشخصية ، يؤكد أن هذه الملكـة ليست دائـمة لا تزول و لا تحـول ، بل إنـما تـقـيـ ما دامت آثار جـهـد المـالـك قـائـمة بالـمـادـيـة ، فـإذا زـالت تلك الآثار من سـبـب زـالت الملكـة من ساعـتها ، فـثـلاـ إذا أطـاق أحد ذلك الحـيوـان الذي اصطـادـه من بـحـر أو غـابـة فـعـادـ الحـيوـان إـلـى الـبـحـر أو الغـابـة ، زـالتـ الملكـة التي حـصلـتـ لهـ نحوـ هـذاـ الحـيوـان ، و كذلكـ فـإنـ تركـ أرـضاـ كـانـ أحـيـاـهاـ لـمـدة طـوـيـلةـ حتـىـ عـادـتـ إـلـىـ سـيـرـتهاـ الأولىـ ، فـقـدـ زـالتـ مـلـكـيـتـهـ منـ أـجـلـ زـوـالـ سـبـبـهاـ وـ هـوـ ذـهـابـ آـثـارـ سـعـيـهـ النـافـعـةـ ، فـانـ بـادرـ أحدـ وـ قـامـ بـحرـثـهاـ وـ زـرـعـهاـ ، وـ إـحـيـاـهاـ ، فـهـيـ لـهـ ، وـ هـوـ أـحـقـ بـهاـ طـبـاعـاـ .

و الأمرـ الثـالـثـ أنـ الملكـةـ التيـ يـسـبـبـهاـ السـعـيـ المـنـتجـ وـ الجـهـدـ النـافـعـ ، وـ الـعـملـ الإـيجـابـيـ ، تـصـلـحـ للـاتـقالـ منـ يـدـ إـلـىـ يـدـ فـيـهاـ يـرـاهـ القرآنـ الـكـرـيمـ ، فـيـمـكـنـ المـالـكـ منـ تـحـويـلـ مـلـكـيـتـهـ فـيـ شـئـ إـلـىـ غـيرـهـ ، إـلـاـ أـنـ الـقـرـآنـ لـاـ يـحـلـ مـنـ طـرـقـ نـقـلـ الملكـةـ منـ مـالـكـ إـلـىـ آـخـرـ إـلـاـ مـاـ يـوـاـكـهـ الرـضـاـ الـحـقـيقـ مـنـ المـالـكـ ، يـقـولـ اللهـ تـبارـكـ :

﴿ يـاـ أـيـهـاـ الـذـينـ آـمـنـواـ لـاـ تـأـكـلـواـ أـمـوـالـكـ يـنـكـمـ بـالـبـاطـلـ إـلـاـ أـنـ تـكـونـ تـجـارـةـ عـنـ تـرـاضـ مـنـكـ ، (ـ سـورـةـ النـسـاءـ الآـيـةـ ٢ـ٩ـ )ـ .

وـ هـنـاكـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ آـيـةـ تـحـملـ أـهـمـيـةـ كـبـرىـ فـيـ هـذـاـ الشـأنـ ، وـ هـىـ لـيـسـ لـلـأـنـسـانـ إـلـاـ مـاـ سـعـىـ ، وـ لـاـ يـعـزـنـ عـنـ الـبـالـ أـنـ مـفـهـومـ أـمـثـالـ هـذـهـ الـآـيـاتـ بالـدـنـيـاـ أوـ الـآـخـرـةـ لـاـ يـجـوزـ أـبـدـاـ ، فـانـ الـتـعـالـيمـ الـقـرـآنـيـةـ لـاـ تـدـرـفـ إـلـىـ الـفـوزـ الـآـخـرـوـيـةـ خـفـبـ ، بلـ وـ إـلـىـ الـفـوزـ الـدـنـيـوـيـ كـذـالـكـ ، إـلـاـ أـنـهـ يـوـلـيـ الـجـاهـةـ الـآـخـرـوـيـةـ .

الـعـيـانـ الـكـبـرـىـ وـ الـأـهـمـاـمـ الـبـالـغـ ، وـ حـيـثـنـذـ فـانـ مـعـنىـ أـمـثـالـ الـآـيـاتـ الـآـنـفـةـ الـذـكـرـ ، أـنـ مـاـ يـتـأـنـىـ مـنـ الـآـثـارـ الـدـافـعـةـ الـطـيـبـةـ فـيـ الـدـنـيـاـ أوـ الـآـخـرـةـ مـنـ جـهـدـ فـكـرـىـ أـوـ عـلـىـ يـقـومـ بـهـ أـحـدـ مـنـ الـبـشـرـ ، فـهـوـ لـهـ وـ حـوـدـهـ ، وـ هـوـ الـذـىـ يـسـتـحقـ أـنـ يـنـفـعـ بـهـ ، وـ أـنـهـ لـاـ يـجـوزـ لـأـحـدـ مـنـ الـبـشـرـ أـنـ يـسـتـفـيدـ مـنـ نـتـائـجـ مـحاـولـةـ عـمـلـيـةـ أـوـ فـكـرـيـةـ قـامـ بـهـاـ غـيرـهـ إـلـاـ بـعـدـ الـحـصـولـ عـلـىـ السـماـحـ مـنـهـ .

وـ لـوـ أـمـعـنـاـ الـنـظـرـ لـعـلـنـاـ أـنـ الـفـكـرـةـ الـقـرـآنـيـةـ هـذـهـ تـنـقـقـ وـ الـطـبـيـعـةـ الـبـشـرـيـةـ كـلـ الـاـنـتـقـاقـ ، وـ نـاـ يـسـيـغـهـ الـعـقـلـ وـ الـمـنـطـقـ ، فـانـ الـأـنـسـانـ لـاـ يـنـدـفـعـ إـلـىـ الـعـمـلـ وـ السـعـىـ إـلـاـ إـذـاـ عـلـمـ أـوـ ظـنـ أـنـ مـاـ يـعـودـ بـهـ عـمـلـهـ وـ سـعـيـهـ مـنـ النـتـائـجـ وـ الشـعـارـ ، سـيـسـتـفـدـ منهـ هـوـ مـادـيـاـ ، أـوـ مـعـنـوـيـاـ ، فـيـ الـدـنـيـاـ أوـ الـآـخـرـةـ ، بلـ هـذـاـ الشـعـورـ بـالـفـائـدـةـ هـوـ الـعـاملـ الـأـكـبـرـ فـيـ كـلـ عـلـمـ يـقـومـ بـهـ الـأـنـسـانـ عـنـ إـرـادـةـ وـ شـعـورـ وـ اـخـتـيـارـ ، وـ هـوـ الـذـىـ يـجـعلـ أـصـعـ الـأـعـمـالـ وـ أـشـدـهـ أـيـسـرـهـاـ وـ أـسـمـلـهـاـ ، وـ يـوـجـدـ هـذـاـ الشـعـورـ حـتـىـ فـيـمـاـ يـقـومـ بـهـ الـأـنـسـانـ مـنـ الـعـمـلـ وـ السـعـىـ لـغـيرـهـ بـنـ الـأـنـسـانـ فـيـ الـظـاهـرـ ، وـ مـاـ يـقـدـيـهـ مـنـ الـخـدـمـاتـ نـحـوـ خـلـقـ اللـهـ ، فـثـلاـ يـرـيدـ مـنـ وـرـاءـ ذـالـكـ وـجـهـ اللـهـ وـ حـصـولـ رـضـاهـ ، وـ السـعـادـةـ الـآـخـرـوـيـةـ ، أـوـ الشـهـرـةـ الـدـنـيـوـيـةـ .

والثالث هي طريقة الصدقة و المدية ، التي يمنحك فيها المرء أخاه شيئاً من الملاك  
تبرعاً و إكراماً و إن لم يجد المالك هناك بدلاً مادياً فانه سيدل العنوبي  
و الروحاني ، و المرء حينها يقدم على الصدقة أو المدية يكون على يقين كامل بأنه  
سيوف الجزاء الأولى في الآخرة ، مما يتصدق به على أحد أو يهديه إليه ، كما أنه  
ينظر إليه الناس في الدنيا نظرة الأكرام و الاحترام ، وقد أكد الكتاب والسنة  
على الصدقة و المدية تأكيداً أقوى تأكيد ، و بشرنا عليها بالأجر الجزيل ، الأمر  
الذى لا يدل على مشروعية الصدقة و المدية خسب ، بل و كذلك على أنها مبرة  
عظيمة .

والرابع هي طريقة القرض و العاربة ، التي يعطي فيها المرء أحداً ماله  
عطافاً عليه ، ومواساة له ، على أنه يستعيد مثل هذا المال فور مضي الميعاد والوقت  
المحدد ، و بما أن المالك يعود إليه ماله بعد الموعود ، ثم إنه يعلم أنه سينال في  
الآخرة مثوبة هذه المواساة و التعاون على البر ، فيوجد هنا كذلك الرضا الحقيقى  
من المالك ، و في الكتاب و السنة كلها نصوص كثيرة تأمر بالقرض الحسن ،  
و ترحب فيه ، و تبشر عليه بالثواب الأخرى .

والخامس هي طريقة الوصية و الوارثة ، التي يملك فيها الورثة ما يخلفه قريبه  
الميت ، و يوجد هنا كذلك رضا الميت ، حيث إن الميت لا يوصى لأحد إلا  
على خدمة قام بها الموصى له ، أو على صلاحية خاصة أو خير كان الميت ناله منه ،  
أو على سبيل العطف والبر به ، على كل ، فإن الموصى - بالكسر - يكون له الأجر  
الخدمة و من الثنائي عوضها المادي ، و يجد كل الطرفين بدلاً مادياً من ملكيتها ،  
و على ذلك فيوجد الرضا الحقيقى منها ، وهناك آيات عديدة في القرآن و روايات  
كثيرة في الأحاديث تدل على مشروعية هذا العقد .

و جاء في الحديث النبوي : « لا يحل مل إمرىء مسلم إلا بطيب نفسه » ،  
و لا يوجد الرضا الحقيقى إلا إذا وجد هناك للمالك عوض مادى أو روحانى ،  
أو دينوى أو آخروى ، أعني أن المرء لا يتحول ملكيته في شيء - عن رضا  
و سماحة صدر - إلى غيره إلا إذا علم أنه يستوفي جزاءه ، سواء في صورة  
الدرهم و الدينار ، و الريال و الدولار ، أو في صورة الطعام و البضاعة و المتع ،  
أو في صورة الخدمة و الراحة ، أو الكراهة و الشهرة ، أو رضا الله و الجزاء  
في الحياة الآخرة .

على كل فهو يتبع قيمة شئه الملاك في أي شكل من الأشكال ، و ذلك  
الابتغاء و الطلب هو الطبيعة البشرية التي لا تتغير ، ولذلك فلا يجوز عند القرآن  
من طرق انتقال الملكية إلا ما يوجد فيه الجزاء للملك في صورة من الصور ،  
و تلك الطرق الجائزة عنده خمس في عامة الأحوال :

الأول هي طريقة التجارة و البيع و الشراء التي يتم فيها التبادل بين الطرفين  
عن تراضٍ منها ، و كل من المالكين يجد عوضاً عن شئه الملاك ، هذا في صورة  
القيمة و ذلك في صورة السلعة ، و بذلك فيوجد هناك التراضي بين الفريدين ،  
و ما جاء في الكتاب و السنة من التعليم و الترغيب في التجارة و البيع و الشراء ،  
بدل دلالة صريحة على أن هذه الصفقة صفقة مشروعة صحيحة .

و الثاني هي طريقة التوظيف و الاستئجار ، التي تكون فيها من أحد الطرفين  
الخدمة و من الثنائي عوضها المادي ، و يجد كل الطرفين بدلاً مادياً من ملكيتها ،  
و على ذلك فيوجد الرضا الحقيقى منها ، وهناك آيات عديدة في القرآن و روايات  
كثيرة في الأحاديث تدل على مشروعية هذا العقد .

صفر ١٣٩٨

ولأخذ أخيراً جانباً آخر من قضية « الملكية الشخصية »، أعني أن الملكية الشخصية التي يقول بها القرآن، هل تحدّد في المواد الاستهلاكية أو تتجاوزها إلى وسائل الانتاج؟ .

وكل ما فهمته و توصلت إليه أنا بدورى هو أن فلسفة الملكية في القرآن - التي تجلت في الحديث عن أسباب الملكية - تسمح بأن ثبوت الملكية لارء في وسائل الدخل و الانتاج ، كثبوتها له في المواد الاستهلاكية و الأشياء التي يحتاج إلى استخدامها شخصياً ، فثلا كـ يملك الانسان سكاكاً بعد ما يبذل جهداً مشرأ على صيده من بحر أو نهر ، كذلك يمكنه أن يملك قطعة من الأرض يحرثها و يجعلها صالحة للزرع و الانبات فيزرعها و يستغلها بكل يمينه و عرق جبينه . و كما أنه يملك ساعة عن طريق البيع و الشراء يستخدمها في صالحه ، كذلك يستطيع أن يملك مصنعاً يشتريه بماله الذي كسبه عن طريق مشروع .

أما ملكية الأرض - وهي من جملة وسائل الانتاج - فقد ثبت بنصوص الكتاب و السنة الواضحة الصريحة ، من بينها هذه الآيات :

و اضرب لهم مثلاً : رجلين ، جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب و حفناها بنخل ، و جعلنا بيهما زرعاً (١) .

و أورثكم أرضهم و ديارهم و أموالهم و أرضاً لم تظروها (٢) .

أن أعدوا على حرثكم إن كنتم صارمين (٣) .

واللام في الكلمة « لأحدهما » في الآية الأولى للتسلیک والتخصیص ، معناها أن الرجل كان مالكاً للجنتين و الزرع بيهما ، و قد جامت في هذه القصة كلمات تدل

(١) سورة الكهف ، الآية : ٢٣ . (٢) الأحزاب ، الآية : ٢٨ .

(٣) سورة القلم ، الآية : ٢٢ .



على الملكية فتلا : « أنا أكثُر مِنْكَ مالاً » و « جنْتَهُ » و « جنْتَكَ » فان الإضافة هنا للتملك .

و كذلك كلمة « أورث » في الآية الثانية تدل على الملكية ، كما أن إضافة الأرض إلى ضمير الغائب في الكلمة « أرضهم » تؤكد كون الأرض في ملكية اليهود . وعلى ذلك فكلمة « حرثك » في الآية الثالثة تدل على الملكية فان إضافة الحرث إلى ضمير المخاطب لا يمكن أن تكون إلا للتملك و التخصيص .

على الجملة ، فتشتبه ملكية الأرض من التصور المبدئي لدى القرآن ، و من الآيات السالفة أيضاً ، ولو كانت ملكية الأرض عند القرآن بما لا يجوز ، لذكر القرآن ذلك في صريح العبارة و أكد نفيها ، فان ملكية الأرض - لدى نزول القرآن - كانت راجحة في الجزيرة العربية و المدينة المنورة ، فقد كانت الأرض تزارع ، و تذهب ، و تباع و تشتري ، و توقف ، فلو كانت ملكية الأرض حراماً حرمها النبي عليه الصلاة و السلام ، كما حرم هو المزارعة فيما بعد .

و الذين يقفون من ملكية الأرض موقف الانكار ، يؤكّدون موقفهم بالآية الكريمة « إن الأرض لله » ، على حين أن الآية لا تؤيدهم ، فان الجزء الثاني منها « يورثها من يشاء من عباده » يحطم موقفهم تحطيمآ على حساب التأكيد والضغط عليه ، حيث إن الملكية داخلة فيما تشتمل عليه كلمة « الوراثة » من معنى و مفهوم على أن قد أسلفت أن الشئ الواحد يمكن أن يكون في وقت واحد ملكاً لله على سبيل الحقيقة - وللبشر - على سبيل المجاز - إذاً فلا تعارض بين الملكيتين ولا تتفق إحداهما بثبوت الأخرى ، كما تتفق ملكية بشر في شئ بثبوت ملكية بشر آخر فيه .

و كذلك يقدم البعض في نفي ملكية الأرض ، و الأرض وضعاً للإنتام ، و الآيات لا تؤيدهم في قليل أو كثير . فان مفهوم الآية - و هو أن الله أوجد الأرض على طريق خاص للإنتام . أى جميع خلقه الحي - يتطابق مع الواقع ، فان الوضع الطبيعي للأرض ، و موضعها من النظام الشمسي ، يتصل بها ضرورات الحيوانات - في التشوّه والنحو - اتصالاً وثيقاً ، و يتعلق بها للحيوانات منافع طبيعية لا تختص ، وهي حاصلة للحيوانات من الأرض سواءً أكانت قطعة منها في ملكية أحد أو لم تكن ، و قصارى القول إن كون الأرض لصالح الحيوانات لا ينافي كون قطعة منها ملكاً شخصياً لأحد من البشر ، فان هذين الأمرين يمكن أن يجتمعوا في وقت واحد ، و معاً .

و خلاصة البحث أن الفرد يمكن أن يملك - من حيث تصور الملكية في القرآن و الحديث - وسائل الدخل و الإنتاج ، كما أنه يملك الأشياء الاستهلاكية التي يحتاج إليها شخصياً ، إلا أن الإسلام يفرض بعض الحدود على مالك وسائل الحصولات و الإنتاج ، فثلاً لا يجوز كمالك المصنوع أن يعامل العاملين في المصنع معاملة الظلم والاستغلال ، والاستغلال الغاشم ، و إذا احتاج الشعب إلى الطعام ، و المواد الغذائية ، لا يجوز لمالك أرض أن يدع أرضه غير مزروعة ، وكذلك فإن كان المجتمع في حاجة إلى لقمح فهناك لا يجوز لمالك الأرض أن يزرعوا شيئاً غيره لخض مصلحة الشخصية ، وعلى ذلك فإن مالك مصنوع الثياب ، لا يجوز له أن يقوم في مصنوعه بتصرف يعود بالضرر على المجتمع ، فثلاً لا يجوز له أن يغلق المصنوع على الناس بحاجة إلى الثياب ، ثم لا يجوز له أن يهد من الثياب إلا ما يحتاج إليه المجتمع ، وما إلى ذلك من الحدود حسب المصلحة العامة .

و بذلكفينسد باب المفاسد التي ربما تقع من الملكية الشخصية في وسائل الدخل و الإنتاج ، إذا كان المالك مسؤولين بكل أنواع التصرف بحرية كاملة .

عليه كثير من علماء الهند و أفغانستان و بخارا و ناشقند ، و تاب على يديه ألف من الناس و هو معترف بنفوذ الشيخ خليل أحد وعلو كعبه في علوم الدين وأمور الدنيا ، فانه يقول بصرامة :

و هو الثقة الثبت الحجة الحافظ الصدوق ، محب السنة السنية ، قامع البدع الشنيعة . شعاره طريقة رسول الله و دثاره التقوى و مخافة الله ، لا يخاف في الله لومة لائم و لا يزعجه عن الطريق القوم مهابة غوى ظالم ، حاز قصبات السبق في ميدان الفضل والكلالات ، فاق القرآن و نشر ألوية الجهاد في سيل الله بالحجج والبيانات ، فأبكم كل متصدق لسان ، نبعت من إفاداته عيون العلم و النهى و تفجرت سواه كان هذا الشخص يتعلق بطبيعة العلماء أو بطبيعة أخرى ، اعترف له بالجليل و أقر بفضله و تفوقه ، و شهد أن الشيخ يجمع بين نواح مختلفة ، بين العلم و العمل ، وكان محدثاً فقيهاً ، جاماً بين الطريقة والشريعة ، و كان بارزاً ومشاركاً

ويقول في الأخير :

و لم يزل حضره دام مجده مجدأً في نشر العلوم و إحياء الدين و تقديم ما تغورج من أمور الاسلام و المسلمين ، علماً مصيناً للطلبة و السالكين ، ناصحاً مخلصاً للمبتدعين الذين يظنون أنه عقبة في طريقهم ، و لا يستطيعون أن يتحملوا هذا العبء التقيل .

و قد أجمع المؤرخون على آنهم لم يروا منه أى عدول عن الجادة السليمة

## ربانيون

### حياة الشيخ خليل أحمد السهارنفورى

[الحافقة الثالثة]  
الأستاذ محمد الثاني الحسنى الندوى  
تعريب : عبد الله الحسنى الندوى

قبوله في الصالحين و شهادة علماء عصره فيه :

في أشتات العلوم في المجال المادى وفي المجال الروحي ، فلا يتجرأ أى ناقد أن يضع اليدي موضع ضعف فيه أو يرمز إلى مواطن انحراف عن جادة الشريعة إلا المبتدعين الذين يظنون أنه عقبة في طريقهم ، و لا يستطيعون أن يتحملوا هذا العبء التقيل .

قال عنه شيخ الاسلام حسين أحمد المدى الذى كان من أعلم العلماء و كان

نقيراً محدثاً و زاهداً ورعاً ، قد اشتغل بالتدريس في الحرم النبوى سنوات و تلمذ

وصان لسانه عن كل إفك  
يعرف عن المحارم والملاهى

ذكر العلامة الشريف عبد الحى الحسنى في كتابه « زهرة الخواطر » - وهو  
كتاب عظيم ذكر فيه تراجم مئانية آلاف شخص من علماء الهند و مشايخها -

و هو يقول :

« كان الشيخ خليل أحمد له الملكة القوية والمساهمة الجيدة في الفقه والحديث  
و يد طولى في الجدل والخلاف والرسوخ التام في علوم الدين والمعرفة واليقين ،  
و كان رقيق القلب ذكي الحس صادعاً بالحق ، صريحاً في الكلام ، في غير جفاء ،  
شديد الاتباع للسنة ، نفوراً عن البدعة ، كثيراً الأكرام للضيوف ، عظيم الرفق  
بأصحابه ، يحب الترتيب والنظام في كل شئ و الموااظبة على الأوقات ، مشتغلاً بخاصة  
نفسه و بما ينفع في الدين ، متنجماً عن السياسة مع الاهتمام بأمور المسلمين والجنة  
و الغيرة في الدين (١) ». .

عندما قام العلامة رشيد رضا المصرى بزيارة الهند فزار « مظاهر علوم »  
كذلك ولقى مديرها الشيخ خليل أحمد فكتب عنه :  
« لم أنس ولا أنسى زيارة مدرسة « مظاهر علوم » في مدينة « سهارنفور »  
و أكبر مدرسها الشيخ خليل أحمد الذى لم أر في علماء الهند الأعلام أشد منه  
إنصافاً ولا أبعد عن التعصب لشائع والتقاليد ، وما ذلك إلا لأخلاصه وقوته دينه  
و نور بصيرته (٢) ». .

ذكر مفتى الشافية الشيخ أحمد البرزنجي .

(١) ترجمة المؤلف بذل المجهود ص ٣٣ .

(٢) رحلات الإمام محمد رشيد رضا ص ٧٩ تأليف الدكتور يوسف اييش (بيروت)

« صاحب الفضل و السماحة والعلم والرجاحة ، الهمام الورع والشهم السميزع  
الفاخر من مدارك التقى بأوفر نصيب و الحائز من مسائل المدى الشهم المصيب ،  
ذى الجد الباذخ والجد الشامخ ، اللوذعى الكامل ، والعلامة الفاضل ، حضرة جناب  
الشيخ خليل أحمد حفظه الله الصمد بطشه المؤيد (١) ». .

و كان بينه وبين قاضى القضاة الشيخ ابن بلعيد - في عهد جلالة الملك عبد  
العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - علاقة ودية ، و كان الشيخ ابن بلعيد من أعلم  
علماء نجد و قاضى القضاة في الحجاز . كان يذكره بصفات عالية و كلمات سامية ،  
كما كتب مولانا عاشق إلهى الميرتى في كتابه ، تذكرة الخليل ، وهو هذا :  
« نشأ في قلب الشيخ ابن بلعيد حب للشيخ خليل أحمد واحترام له فكان يراجع  
في أكثر المسائل إليه و يستفتى منه وأنزله منزلة أستاذة فائقة إليه و يحضر مجالسه  
ويباحث معه في مواضيع علمية (٢) ». .

يذكر العلامة أنور شاه الكشمیرى - الذى كان له يد طولى وباع طويل في  
علوم الحديث - بهذه الكلمات .

« الولي الهمام العلام العارف الفقيه المحدث شيخنا و شيخ الفقه و الحديث  
و مند الوقت ». .

و كتب عنه الشيخ الأديب إعزاز على صاحب نفحة العرب :

« المولى الحاج الشيخ السيد خليل أحمد الذى نشرت الأقطار والأماكن بذلك  
وصفه و تمطرت من طيب عرقه ، سحاب علم أخصب الهند بدؤام دينه ، و بحر  
مواج لا يوقى إلا يقتبس من علمه و كرمه ». .

و كان الشيخ المفتى كفایة الله الدھلوی مفتی دیار اہنڈ کیبر يقول عنہ :

(١) مجموعه مسلسلات ص ٥ . (٢) تذكرة الخليل ص ٣٠٦ .

• فـمـامـة زـمانـه ، إـمامـأـوـانـه ، المـتـكـلـمـ الفـاتـقـ علىـ أـفـرـانـهـ الـمـولـىـ الـهـمـامـ الـعـالـمـ  
الأـوـحـدـ الشـيـخـ السـيـدـ السـنـدـ مـوـلـانـاـ خـلـيلـ أـحـمـدـ ،  
هـذـهـ بـعـضـ المـقـبـسـاتـ الـىـ عـرـضـهـاـ عـلـيـكـ غـيرـ أـنـ كـثـيرـاـ مـنـ الـعـلـمـاءـ وـ الـشـائـخـ  
كـتـبـواـ عـنـهـ وـ اـعـرـفـواـ لـهـ بـالـفـضـلـ وـ شـهـادـهـ لـهـ بـأـرـائهمـ وـ كـتـبـاـتـهـ كـالـشـيـخـ الـكـبـيرـ  
عـبدـ الشـكـورـ الـلـكـهـنـوـيـ وـ الشـيـخـ أـصـغـرـ حـسـينـ الـدـيـوبـنـيـ وـ الشـيـخـ الـرـبـانـيـ عـبـدـ الرـحـيمـ  
الـرـأـيـ فـورـيـ وـ شـيـخـ الـهـنـدـ مـحـمـودـ حـسـنـ الـدـيـوبـنـيـ ، وـ كـذـلـكـ اـعـرـفـ بـفـضـلـهـ وـ كـتـبـهـ  
وـ مـصـنـفـاتـهـ كـثـيرـ مـنـ عـلـمـاءـ الـحـرـمـينـ الشـرـيفـينـ وـ عـلـمـاءـ الشـامـ وـ مـصـرـ .  
صفاته و مزاياه :

شـدـتـهـ فـيـ اـتـابـعـ السـنـةـ : كـانـ مـرـيـتـهـ الـعـظـيمـةـ الـىـ اـمـتـازـ بـهـ شـدـتـهـ وـ صـلـابـتـهـ  
فـيـ اـتـابـعـ سـنـنـ الرـسـولـ عـلـيـهـ سـلـطـةـ فـانـهـ يـتـبـعـهـ فـيـ كـلـ مـجـالـ مـنـ مـجـالـاتـ الـحـيـاةـ بـدـقـةـ وـ لـاـ  
يـنـحـرـفـ عـنـ جـادـةـ السـنـةـ قـيـدـ شـعـرـةـ وـ يـهـمـ بـالـسـنـنـ اـهـتـاماـ كـامـلاـ ، يـتـبعـ سـيـنةـ الرـسـولـ  
عـلـيـهـ فـيـ الـجـلـوـةـ وـ الـخـلـوـةـ وـ فـيـ السـفـرـ وـ الـحـضـرـ بـشـدـةـ وـ صـلـابـةـ .  
جـهـ لـلـنـبـيـ الـكـرـيمـ عـلـيـهـ : عـاـشـ الشـيـخـ خـلـيلـ أـحـمـدـ السـهـارـنـفـورـيـ - مـدـةـ حـيـاتـهـ -

فـيـ حـبـ النـبـيـ عـلـيـهـ وـ الـحـنـينـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ الـمـوـرـةـ وـ مـسـجـدـهـ الـعـظـيمـ ، فـيـظـهـرـ هـذـاـ الحـبـ  
عـنـدـمـاـ يـذـكـرـهـ وـ كـلـاـ ذـكـرـهـ عـلـيـ صـبـرـهـ ، وـ لـذـاـ حـجـ وـ زـارـ سـبـعـ مـرـاتـ ثـمـ طـفـحـتـ  
الـكـأسـ فـيـ آـخـرـ حـيـاتـهـ فـاجـرـ إـلـيـهاـ وـ قـطـنـ فـيـهـاـ وـ تـوـفـيـ وـ دـفـنـ فـيـ جـنـةـ الـبـقـعـ ،  
إـذـاـ هـبـتـ الـأـرـيـاحـ مـنـ طـيـةـ أـهـمـاجـ فـؤـادـيـ طـبـهاـ وـ هـبـوـبـهاـ .

فـلـاـ تـعـجـبـواـ مـنـ لـوـعـيـ وـ صـبـاـيـتـ هـوـيـ كـلـ فـقـسـ أـيـنـ حلـ حـيـبـهـاـ  
عـمـلـ بـالـعـزـيمـةـ : وـ كـانـ مـيـزـةـ الـخـاصـةـ هـىـ عـمـلـ بـالـعـزـيمـةـ . كـانـ الشـيـخـ لـاـ يـتأـخـرـ  
عـنـ الـعـمـلـ بـالـعـزـيمـةـ فـيـ أـيـ مـجـالـ مـنـ مـجـالـاتـ الـحـيـاةـ وـ لـمـ يـتـرـكـ نـاحـيـةـ مـنـ نـوـاـحـيـ

الصلـةـ وـ الزـكـاـةـ وـ الصـومـ وـ الـحـجـ وـ لـاـ الـأـمـرـ الـاجـتـمـاعـيـةـ وـ لـاـ الـمـعـاـلـاتـ إـلـاـ أـنـ  
بـهـ حـيـنـ كـسـلـ أـحـصـابـ الـطـمـوـحـ وـ مـاطـلـ الـمـاطـوـنـ ، وـ بـلـغـ فـيـ بـيـانـ الـورـعـ وـ الـتـقـوـيـ  
مـبـلـغـ الـكـالـ الـذـيـ لـاـ بـنـجـدـهـ إـلـاـ فـيـ أـسـلـافـ الـصـالـحـينـ ، وـ قـدـ اـزـدـادـ هـذـاـ الـحـرـصـ وـ الـشـوـقـ  
فـيـ آـخـرـ أـيـامـ حـيـاتـهـ عـنـدـ مـاـ بـلـغـ مـنـ الـعـمـرـ ٧٥ـ مـنـهـ وـ قـدـ بـلـغـ مـنـهـ الـضـعـفـ كـلـ مـبـلـغـ وـ أـصـيبـ  
بـمـرـضـ الـأـرـتـعـاشـ فـيـ يـدـيـهـ ، فـلـمـ يـكـنـ يـتـرـكـ صـلـةـ الـحـرـمـ حـتـىـ فـيـ أـصـعـ الـحـالـاتـ  
وـ يـتـافـسـ فـيـ الـوصـولـ إـلـىـ الـصـفـ الـأـوـلـ ، وـ قـدـ اـضـطـرـ يـوـمـاـ وـ قـدـ هـطـلـ الـأـمـطـارـ  
غـزـيرـةـ وـ سـدـتـ الـطـرـقـ فـأـخـذـ الـمـصـابـحـ فـيـ يـدـهـ وـ وـصـلـ إـلـىـ الـحـرـمـ وـ الـمـاءـ يـجـريـ  
وـ يـتـدـفـقـ فـيـ الـطـارـقـ وـ تـنـقـبـ الـحـصـىـ الـأـقـدـامـ وـ صـلـىـ فـيـ الـصـفـ الـأـوـلـ .

قولـهـ الـحـقـ : وـ مـيـزـةـ الـثـالـثـةـ الـتـىـ اـتـصـفـ بـهـ قـوـلـهـ الـحـقـ وـ الـجـرـاءـ ، فـلـمـ يـكـنـ  
يـخـافـ فـيـ ذـكـلـ لـوـمـةـ لـأـنـمـ وـ لـاـ يـعـبـأـ بـهـ أـبـداـ وـ إـنـ كـانـ سـلـطـانـاـ جـازـراـ أـوـ صـاحـبـ جـاهـ  
وـ مـالـ وـ صـاحـبـ سـطـوـةـ وـ شـوـكـهـ ، وـ قـدـ أـفـقـ ضـنـ الـأـنـجـلـيـنـ وـ أـرـادـ الـهـجـرـةـ ، فـلـقـ  
جـلـالـةـ الـمـلـكـ اـبـنـ سـعـودـ عـلـىـ دـعـوـةـ وـ قـامـ بـدورـ هـامـ بـقـوـلـهـ الـحـقـ عـنـدـهـ وـ أـزـالـ بـعـضـ  
الـصـعـوبـاتـ وـ الـمـتـاعـبـ .

صفـاتـهـ الـخـاصـةـ : كـذـلـكـ جـمـيعـ الصـفـاتـ الـتـىـ اـتـصـفـ بـهـ مـنـ اـسـتـغـنـاءـ وـ فـنـاءـ ،  
وـ تـوـاضـعـ وـ حـلـمـ وـ أـنـأـةـ وـ جـوـدـ ، وـ صـبـرـ وـ اـسـتـقـامـةـ ، وـ شـفـقـةـ وـ رـحـمـةـ ، وـ سـهـرـ الـلـيـلـيـ ،  
كـانـ يـمـتـازـ بـهـ عـلـىـ أـفـرـانـهـ ، وـ كـانـ يـتـلـقـ الضـيـوفـ بـحـفـاوـةـ بـالـفـةـ وـ بـوـجـهـ طـلـقـ حـتـىـ فـيـ  
أـحـرـ قـوـتـ وـ أـصـعـ حـالـ كـذـلـكـ تـلـقـ النـاسـ كـاـ كـانـ يـتـلـقـاـمـ وـ لـمـ يـزـلـ مـشـتـقـلاـ  
بـتـدـرـيـسـ الـحـدـيـثـ الـنـبـويـ الـشـرـيفـ حـتـىـ فـيـ وـقـتـ تـوـفـيـ فـيـهـ وـ لـدـهـ وـ هـوـ شـابـ وـ لـمـ يـدـفـنـ إـلـىـ  
ذـكـلـ الـوقـتـ ، وـ لـمـ يـكـنـ يـتـدـلـ بـشـرـتـهـ عـلـىـ أـنـهـ غـشـيـتـهـ سـحـابـةـ مـنـ الـحـزـنـ وـ الـأـلـمـ ، وـ كـانـ  
عـمـلـ بـالـعـزـيمـةـ : وـ كـانـ مـيـزـةـ الـخـاصـةـ هـىـ عـمـلـ بـالـعـزـيمـةـ . كـانـ الشـيـخـ لـاـ يـتـأـخـرـ

جـناـزـةـ فـيـ الـبـيـتـ ثـمـ دـخـلـ وـ أـخـرـجـاـ .

وـ كـانـ لـاـ يـسـتـقـرـضـ مـنـ النـاسـ مـعـ حـاجـتـهـ إـلـيـهـ وـ لـمـ يـظـهـرـ حـاجـتـهـ عـلـىـ النـاسـ

صفر ١٣٩٨ هـ

لجميع نواحي الحياة ، و إذا رأى أحد أوقاته يقول :

كل امرى في أمور الدهر مشغول وانت عن كلها في أحسن الشغل  
و كان يقتدى السنة في كل شيء ، فيأكله وشربه ، و قعوده وقيامه  
ونومه وسمره ، و كان حافظاً للقرآن الكريم فيتلوه قائماً وقاعدآ ، و كان يشغله  
بالدرس و التدريس ، والتصنيف و التاليف و الوعظ و الارشاد ، ويراقب كذلك  
نظام المدرسة و يشرف عليها و يعالج المسائل الصعبة في مجالسه العامة ، تمن هذه  
الصفات إلى توازنه و جامعيته و سعة نظره ، فلم يكن زاهداً متنزلاً إلى زاوية  
أو منحازاً إلى مكان ، وإنما كانت حياته في جلوته وخلوته وسفره وحضره متزنة .  
تحليته بحسن الظاهر : وكان متحلياً بحسن الظاهر كما كان متصفًا بصفات جليلة  
و لا شك أنه كان كما قال الشاعر :

يزيدك وجه حسناً      إذا ما زدته نظراً

كان جيلاً وسيماً ربع القامة مائلاً إلى الطول ، أبيض اللون ، يغلب فيه  
الحمرة ، نحيف الجسم ناعم البشرة ، أزهر الجبين ، دائم البشر خفيف شعر العارضين  
يحب النظافة و الأناقة (١) :

تركية النفوس : قد كثُر إقبال الناس عليه فتابوا و بايعوا على يديه وكان يظهر  
آخر البيعة سريعاً فتبدل حياتهم ، يكتب العلامة عبد الحفيظ الحسني عنه :  
« كانت له قدم راسخة وباع طويل في إرشاد الطالبين والدلالة على معالم الرشد  
و منازل السلوك و البصر في غواصات الطريق و عوامل النفوس ، صاحب نسبة  
قوية و إفاضات قدسية و جذبة إلهية ، نفع الله به خلقاً كثيراً وخرج على يديه  
جعماً من العلماء والمشايخ و بعثت بتربيته جماعة من أهل التربية و الادساد (٢) » .

(١) زهرة الخواطر ج ٨ . (٢) زهرة الخواطر ج ٨ ص ١٣٦ .

يل يسكن أهل ويسكتهم ، و يلقى الناس بتواضع واستغناه حتى لا يجدوا أثر الحاجة  
عليه ، ولكن لما أنعم الله عليه بأموال وحصل عليها فكان لا يضطهد عنده بل يقسمها  
بين الفقراء و المساكين كي ترتاح نفسه و يطمئن قلبه و يرضي ربه .  
٤٧ - كان يتكلم بكلام حلو جميل حتى ينظمه الصغار أبا لهم ، ويتدفق بتلاوة  
القرآن و يتلوه آناء الليل و آناء النهار و يشغله بالآحاديث النبوية .  
٤٨ - يواكب مواطبة تامة على الدرس و التدريس ، والتصنيف و التاليف  
و إصلاح النفس و تهذيب الأخلاق ، والوعظ و الارشاد حتى في ساعة توفيت  
ابنته حينما اقتربت ساعة وفاتها و كان قد قضى الليل كله ساهراً لأنها لم تكن تجلس  
إلا متكئة على أبيها ، فلما جاء وقت التهجد قال لزوجته أن تفرش السجادة ليصل إلى  
ركعات فبدأ يصل و بدأ التنفس يزداد خلال صلاته و فارقت الروح الجسد و هو  
يصل و يتضرع أمام مالك الحقيقة .

إقبال الناس عليه : أقبل عليه الناس من كل صوب وناحية بين طالب للدين  
و راغب في الإصلاح ، بين خاص و عام ، و توافد العلماء و المشايخ عليه إثر  
وفاة الشيخ الرباني العلامة رشيد أحد الكنكوهى ووضع له القبول العظيم الذي جذب  
أهل الكمال والنبوغ كالمغناطيسي القطع الحديدية وانتشرت طريقةه انتشاراً عاماً .  
إذا استعرضنا قيام خلفائه بخدمة العلم و الدين يكفي أن نعرض أسماء شخصين  
من خلفائه اللذين أديباً مسؤلياتهما وقاما في مجال الدعوة و التربية أحسن قيام ،  
الشيخ الداعية إلى الله محمد الياس - مؤسس حركة الدعوة و التبليغ المنتشرة في العالم  
اليوم - و الشيخ العلامة محمد زكرييا الكاذهلوى - الذي صنف كتبًا كثيرة وله يد  
طويلة في إصلاح النفوس و تركية الباطل فاستفاد منه آلاف من الناس .  
التوازن في الأمور و جامعيته فيها : كان نظام أوقات الشيخ متزناً و شاملًا

- آراؤه و أفكاره و مسلكه -

كان الشيخ يقتدى في أصول الدين و فروعه السلف الصالحين و كان يرتبط بالعلماء الذين قاموا بإحياء السنن و إزالة الشرك و مكافحة البدع و الخرافات ، وكان يرأس هذه الطبقة بجدد الآباء الثاني الشيخ أحمد السرهندي ثم رفع هذا اللواء خلفاؤه الشيخ ولد الله الدلهوى والشيخ عبد العزيز ، والشيخ إسماعيل الشهيد والشيخ إسحاق الدعلوى و أمير المؤمنين أحد بن عرفان الشهيد وفي الأخير الشيخ الأجل إمداد الله الماجر المكي والشيخ رشيد أحد الكشكوهى ، فاتجه بمنهجهم و سلك مسلكهم و اتبع سبيلهم في إحياء السنن و محى الشرك و البدع و الرد على المبتدعين بقلمه و ناقشهم كذلك ، وكان له علاقة هامة بالكتاب و السنة و رثها من آباءه و أسلافه و بذل أزيد بقائهم و حفظهم أقصى جمده و قام في هذا المجال أحسن قيام .

كان يحب من سواده قلبه أن يعم الكتاب و السنة و أن ينتشر في العالم كله و أن يستفيد الناس من مركزهم الأصيل و يستقوا من منبعهم الحقيق ، فنشأ في أفكاره و آرائه من هذا الحب للكتاب و السنة ، النضج و العمق ، وكان كذلك يقول ، إنها دواء كل داء ، وباسم كل جرح و منار لكل من ضل الطريق و مشعل لكل من ابتغى السبيل .

محبة الله : كان الشيخ يغرس الحب و الحنان ، و الشوق و الهيم في القلوب ، وهذا هو الذي جعل حياته كلها مفعمة و بالحب و الحنان فيتمنى لحبيبه و مريديه الحياة المثالية التي يسيطر عليها الحب و الحنان و يستولي عليها الحب لله ، تكون قلوبهم معמורה بمحبته و ذكره ، ولذا قام بخدمة جليلة في مجال نشر الكتاب و السنة ، فلا يستطيع أن يتحمل أى قول يتعارض مع الكتاب و السنة

## ★ البعث الإسلامي

صفر ١٣٩٨

أو ينحرف عن خطها و خدم الحديث النبوى الشريف إلى آخر عمره فلما اشتعل بالتدريس اشتغل بتدريس الحديث ، وصنف فيه كتابه العظيم « بذل المجهود في حل أبي داود » في أربعة مجلدات .

سيف مسلول للبتدعين : وكان سيفاً مسلولاً للبتدعين و أهل الشرك فهاجم هذه العقائد الباطلة ورد عليها ردًا مقنعًا وصنف فيها كتاباً سماه « البراهين القاطعة » الذى قام بدور هام في مكافحة البدع والشرك و إعادة الناس إلى الصراط المستقيم مثل كتاب الشيخ الكبير إسماعيل الشهيد « تقوية الإيمان » ، وأخرجهم من الشرك والبدعة إلى التوحيد والسنة ، كان إذا سمع عن أحد مريداته أن فيه شائبة الشرك ولو كانت خفية فلم يكن يسكت إلا و يبذل جهده في إقلاله عنها ، فدهش المبتدعون و أثاروا عليه الفتنة و أصروا به افتراءات باطلة لا من يد عليها ، و قالوا إنه من تلاميذ محمد بن عبد الوهاب و مريديه و أنه يسب رسول الله عليه السلام و يلعنه و لذلك أيد جلاله الملك ابن سعود و أشاد بعقائد أهل نجد الصحيحة و أفكارهم التي تختلف البدع و الشرك فصارت قلوب أهل البدع والأهواء تشتعل بزار الحقد و العداوة ضده .

محبة صحابة الرسول عليه السلام والدفاع عنهم : وكان يحب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين و قد ناقش الشيعة للدفاع عن الصحابة ، ولم يكن يقدر أن يسمع كلمة واحدة ضد الصحابة - رضي الله عنهم - و كان يحب أهل البيت كذلك و أكد في كتبه على التوازن و الاعتدال في هذه الأمور و انتقد الروافض و الخوارج كذلك و أبطل عقائدهم و أثبت أنها تختلف عن الشريعة الإسلامية .

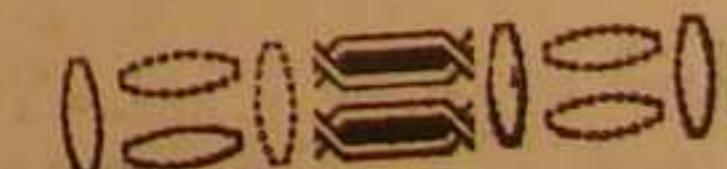
طريقه في السلوك و الاحسان : كان يتبع في السلوك و الاحسان أسلافه و مشايخه و اختار منهمهم ، إنه اشتغل بتزكية النفس فأقبل عليها كل الاقبال و عطف

على ذكر الله عروجل و المراقبه له و صرف وجهة الناس إلى هذه الأشغال والأعمال التي ترك النفوس و تظهرها من الدنس والأرجاس و تنور القلوب والأذهان وتحبهم عند الله و تحصل لهم الحبة الالهية وأكده على أهميتها وال الحاجة إليها .

اتباع الشريعة الإسلامية كاملاً ظاهرة وباطنة : و كان يحث كل مسلم على اتباع الشريعة الإسلامية اتباعاً كاملاً فيستطيع بها اعتقاده وإيمانه لأن غاية الحياة الإسلامية و مقصدها اتباع الشريعة و لا فرق فيها بين الغنى و الفقر ، وبين العالم والأمّي ، و لذلك كان يفضل الرجل الأمي الذي يتبع الشريعة الإسلامية ، و يتأسى بها من أى طبقة كان - على الرجل العالم الليب الذي لا يتبع الشريعة و لا يقتدي بها فيقول صريحاً .

اعتقد أن احترام الشريعة الإسلامية السمححة واجب على كل مسلم في اعتقاده و عمله و لا يكفي الاحترام باللسان فقط .

السائل الجديدة تابعة للشريعة الإسلامية : و كان يؤكد أن تكون هذه المسائل الجديدة تابعة للشريعة الإسلامية وأن يكون العقل الانساني تابعاً كذلك للشريعة الإسلامية ، وأن الحل لمشاكل المسلمين و النجاة من المصائب والمحن تكمن في اتباع الشريعة الإسلامية ، وأن أحكام الرسول عليه السلام والقرآن ليسا تابعين للعقل الانساني العاجز و أن رجلاً ذا ذهن ثاقب و عقل واع يحتاج كذلك إلى اتباع الشريعة الإسلامية فلا يفلح الإنسان و لا يفوز إلا باتباعها في الدنيا و الآخرة ، و بدون اتباعها في الحياة فلا مناص من الفشل و الخيبة .



## صور و أوضاع العالم الإسلامي

### ١ - مش معقول ، مش ممكن !

أعترف بأنني ما وجدت عنواناً يلائم التطورات الأخيرة في الشرق الأوسط و زيارة الرئيس أبورسادات لإسرائيل بوجهه أخص ، إلا هذا العنوان الذي أستعيره من إحدى الافتتاحيات التي نشرت في هذه المجلة في السنتين ! مش معقول ، مش ممكن أن يقوم زعيم من زعماء العالم الإسلامي - المعروف بالتزدة و الأنفة و الصبر - بتصرف مفاجئ مدهش ، يعارض - في أول النظر - الفهم التاريخي للقضية و أبعادها التاريخية و الحضارية و العقلية .

و أعل التزدة و الأنفة و الصبر ، و حب « الواقعية » كما يعبر عنه بعض الكتاب و الصحفيين هو الذي دفعه على أن يقوم بهذه المحاولة ، يريد بها طرح الكرة في ساحة إسرائيل وإلقاء التبعة عليها في سلام دائم أو حرب دائمة ، في أيام قادمة .

مش معقول أن يقوم فرد برأيه الشخصي و محبته الفردية وبغض النظر عن زملائه في الوزارة الخارجية ، بما لا يستحسن الشعب المسلم و ما لم توافق عليه البلاد العربية الأخرى ، و أخص منها المملكة العربية السعودية .

ثم يعين محل وزير الخارجية الذي استقال وزير قبطي متزوج من يهودية - كما نشرت جريدة المجتمع الكويتية - و هو الدكتور بطرس بطرس غالى ، المعروف بموافقه و موافق آياته المشبوهة ، و الشئ من معده لا يستغرب .

في هذه اللحظة الحاسمة يفوض منصب وزارة حساسة كوزارة الخارجية إلى شخص كهذا ، ويدور مباحثات مصرية يهودية مشتركة حول « مناهج التربية والثقافة » برعاية جامعة هارفارد ، شئ غير مفهوم و لا معقول بتاتاً ، بل إنه يثير استفهامات و تساؤلات كثيرة .

إننا لا نوافق ، أصحاب الشمال ، طبعاً ، و أعني بهم رؤساء الدول التي تدور في الفلك السوفيتي ، كما كانت مصر العزيزة تدور في هذا الفلك قبل أيام ، قبل أن يطرد السادات خرقاء السوفيت ، و ينزع مصر من جاذبيتهم و سلطتهم الماكنة داخل السلطة ، فهو لاء الحكام لا حول لهم ولا طول .. إنما هم مسرون لا يخرون .  
ومع ذلك فنحن نواخذ على هذه الزيارة الخاطفة لإسرائيل متألين .. و مع أنا لا نريد أن نتعجل في الحكم على هذه القضية فالصورة لم تكتمل بعد .. إلا إننا نحذر المسؤولين الذين قاموا بهذه المغامرة أنهم يتعاملون مع شعب عرف بعدهم الإسلام ، وفضله الموافق ، ونكرانه الجميل وقتله الأنبياء بغير حق .. وأنهم - ثانياً - يتعاملون مع الولايات المتحدة الأمريكية التي لا يسعها إلا التعاطف أو التحالف مع إسرائيل بحكم أوضاعها السياسية و الاجتماعية المعروفة .

نعم إنهم يواجهون - بنفس الوقت - حاكماً إسرائيلياً إرهابياً عرف بتطرفه وحقده ، وتعصبه البغيض ، ويعاملون رئيساً أمريكياً عرف باتجاهه المسيحي ، ويفكر دائماً في إرساء قواعد المسيحية في مصر ، باسم إنشاء الجامعة المسيحية في هذه البلاد حيناً ، وبثارة النعرات الطائفية وإنهاض الطائفة القبطية ودعم الكنيسة حيناً آخر ، وعن طريق البعثات والرسائل ، و المناهج التربوية ، و الأفلام التوجيهية باسم حرية الفكر و الفن و الثقافة بعض الأحيان !

فليهم أن يحرموا على أن تكون ورق اللعب في القاهرة ! والكرة في ساحة إسرائيل ، والسلاح بأيدي المؤمنين ، والوعي الإسلامي للقضية محور مائر النشاطات .  
و نحن في انتظار ما يتمخض عنه الأيام القادمة !

## ٢ — نوافق ..

نوافق على أن الضجة و الضجيج . و الصراخ و العويل ، الذي كان شعار « العهد البائد » و شعار صوت العرب و صوت فلسطين لم ينفع ، ولن ينفع أبداً ، ونواافق على أن هذه القرصنة الجوية ، وقتل الأبرياء ، واستفزاز العدو بقذيفة ناسفة و اختطاف جوى ، و إرهاب و اغتيال ثم الخضوع أمام قصفه الوحشي في جنوب لبنان من غير حياء ، و رفع مذكرة احتجاج في مجلس الأمن و توجيه شكوى إلى أمريكا مهزلة سياسية لا نهاية لها ؟

## ٣ — لا نوافق ..

ولكن لا نوافق على وضع قبالت حارة على خد غولدا مير ، كا نشرته الصحف و قد سر بها كارتر كثيراً ، وقال وهو يعرب عن ارتياحه لهذا التصرف المشين « أن ذلك كان رائعًا ..

و النكتة المؤسفة لا تحتاج إلى تعليق ..

## ٤ — إذاً ما هو الطريق ؟

و الطريق .. إذا سمحتم .. هو ما قام به الأتراك لإنقاذ إخوانهم المعذبين أصحاب الحق الشرعي كأبناء فلسطين في قبرص .

و إنهاء المهمة قبل أن تتدخل القوى العالمية و تتلاعب بالقضية .

الطريق هو « الغصنية المصرية » و « البدائية السياسية » في المحافظة على التوازن الدولي ، و مدد ذرائع التدخل السريع ، و الاستفادة بعامل الوقت .

الطلب من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي أن يرغما إسرائيل على الانسحاب من الأرضى المحتلة طلب صعب ..

أما الطلب من العملاقين بأن يكفلوا بضمان الحدود بعد تحرير الأرضى ، فهذا شيء بسيط .. و هو أقرب إلى الحقيقة و الواقع ..

☆ البعث الاسلامي  
و الطريق هو إزالة أسباب الـ وان قبل إزالة آثار المدوان ،  
كـ قلنا دائمـاً . و نـركـز على الأسبـاب ، مـرة أخـرى !

إن المنهزمين عقلياً ، المفتونين عاطفياً ، الحالين بمجاراة البلاد المنفردة السعيدة  
عانياً ، الشقيقة روحياً كالسويد والذمارك وأمريكا ، لا يستطيعون أن يثبتوا عند  
اللا ، طبعاً أن محلواً لقاء العدو وشهادة في سبيل الله .

و تحول بسط في المنج و الذوق ، وأسلوب المعيشة والاقلاع عن المعاصي  
كفيل بالنصر ، و إن رحمة الله قريب من المحسنين .

بين «لا» و «نعم»

من الغريب المؤسف أن تحفل الجزائر الاسلامية المجاهدة الى ضحت بمليون  
شهيد في سبيل الله و تحت شعار « الله أكبر » بذكرى الموسيقار الالماني بيتهوفن ،  
بدلا من الشاعر الاسلامي إقبال الذي احتفلت به الهند ، و تغنى بروائعه عدد كبير  
من غير المسلمين ! ثم يغدق عليه وزير التعليم العالى بالجزائر من شآبيب الثناء والمدح  
والاطراء ما يلىق بالأنبياء و رجال الله !

و مرة أخرى أستعير عنواناً آخر من إحدى المقالات التي كتبتها عند ما تذكرت الشورة المصرية لاسلامها و نسيت فضل الاخوان المسلمين عليها .

هذا العنوان هو ( الاسلام بين ، لا ، و ، نعم ، )  
«نعم» عند إثارة الشعوب المسلمة ووضعها في أتون المعركة و الجماد باسم  
الاسلام وفي سبيل الله .

و لا، عند التربع على عرش القيادة و الركوب على أنقاض المسلمين و تخطيط البلاد على أساس الماركسية و العلمانية و محاربة الدين !

أخبار اجتماعية و ثقافية

پیار من

المركز الاسلامي في آخن (مسجد بلال) واتحاد الطلبة المسلمين في أروبا

زيارة السادات لا رض المحتلة .

لم يكن يتصور أحد أن يبلغ الاستسلام و التهالك بحكامنا ما بلغه من هذه الدرجة التي أذهلت العدو و الصديق ، و أدهشت العالم كله ، و استعانت لغرابتها في أول الأمر على الفهم و التصديق .

إن زيارة الرئيس السادات للارض المحتلة ، و وقوفه في الكنيست حيث يقف الناس في نفس اليوم في عرفات ، و ترافقه الفاجع على اعتاب إسرائيل ، و ما يترتب على ذلك من آثار خطيرة في الحاضر والمستقبل طعنة للعرب و المسلمين و قضيائهم الكبيرى ، و خدمة لليهود تجاوزت عندهم كل التوقعات والأعمال والأحلام و حققت لهم من المكاسب ما لم يخطر لهم على بال .

إتنا ندين هذه الخطوة :  
إتنا ندين هذه الخطوة التي خططها الرئيس السادات والتي تتعارض مع عقائدها  
و قيمها و مع مصلحة أمتنا و بلادنا و مع أهدافنا و آمانا في تحرير وطننا السليب  
و رفض الأمر الواقع الذي فرضه في أرضنا الباطل و الظلم . . . و لا نعتبر هذه  
الخطوة بحال من الأحوال مثلاً لارادة العرب و المسلمين في مصر أو في أي  
مكان آخر .

ندىن السياسة العربية في قضية فلسطين :

و نحن ندين أيضاً السياسة العربية الاسلامية و سياسة الامم الالا في قضية فلسطين ، و المجرى المنحرف الذي أخذته هذه القضية على أيدي حكامنا و حكوماتنا مباشرة أو غير مباشرة من زمن بعيد ، و الذي كان من آثاره و آثاره خطوة الرئيس السادات الأخيرة .

و نحب أن نلاحظ هنا مع الأسف أن خلاف أكثر دولنا العربية الآن في قضية فلسطين ليس خلافاً في النوع و لكنه خلاف في الدرجة و التكتيك والمصالح الخاصة ، و أن أكثر هذه الدول تقف على نفس الطريق المنحرف و إن اختفت درجة التقدم و التأخر و المظاهرة و التستر .

ندىن الواقع العربي الراهن :

و نحن ندين أيضاً الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي و الأخلاق المنحرف عن الاسلام ، هذا الواقع الجاهلي الذي كان من بعض تناجه هذه السياسة الانهزامية الاستسلامية المسماة ، الخاضعة لسلطان الشرق أو الغرب ومصالح الحكم المستغلين ، وأوهامهم وشهواتهم التي عدوها من دون الله عزوجل .

ندعو الحاكم إلى مراجعة مواقفه :

إننا ندين ذلك كله أصرح الإدانة ، وندعو الرئيس السادات و سائر الحكم و الحكومات العربية إلى مراجعة مواقفهم من مختلف الجوانب قبل فوات الأوان وإلى إصلاحها من الجذور والأعماق ، وإلى الانطلاق في الاتجاه الصحيح و اتخاذ الموقف الذي يفرضه الاسلام ، و تقتضيه مصالحة العرب و المسلمين على المدى القريب و البعيد .

(نشر هذا البيان من غير تعليق)

صدر حديثاً :

## الاسلام الممتحن

بقلم :

الأستاذ محمد الحسني رئيس تحرير مجلة « البعث الاسلامي »  
تقديم

سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوى

— يقول سماحة الشيخ الندوى في تقادمه عن الكتاب و صاحبه —  
• • • أحدثت هذه الجوانب المتناقضة — جانب تربة المؤلف و دراسته الاسلامية و جانب الواقع المريء و المشاهد القاسية — صراعاً في نفسه حول قلبه إلى شلال يتذبذب بقوه و ينحدر بقوه ، فصدرت هذه المقالات في أسلوب قوى ملتهب . هو نتيجة كل صراع نفسي ، رافقته قدرة بيانه ، و قلم سيناريو ، و ثروة اغوية ، و هذا الأسلوب له قيمة في إيقاظ الشعور ، و في تحريك النفوس و العقول ، و محاربة « مركب النقص » ، وإعادة الثقة بصلاحية الرسالة و الأمة ، و الاعتزاز بالقيم و المفاهيم خصوصاً إذا كان مدعاً بالدلائل و الوثائق . و مساحة بالشواهد و التجارب و هي طلعة كل رائد و إنقلاب و رائد كل همة و تقدم . • • •

مع هذه السمة البارزة لهذه المقالات فإنها تدعى إلى التأمل العميق و تغذى الفكرة ، و تفتح آفاقاً جديدة للفكر الاسلامي . و زود العاملين في مجال الدعوة و الفكر الاسلامية بعض معلومات جديدة ، و وثائق و حقائق عن الحضارة الغربية و الفلسفات المادية .

يطلب من : « المختار الاسلامي » ص . ب . ١٧٠٧ ( القاهرة )

و من المكتبات الشهيرة في العالمين العربي والاسلامي